

سعيد عقل شعره والنثر

المجلد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبليس

سعيد عقل شعره والنثر

المجلد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبليس

للمؤلف

- بنت يفتاح الطبعة الأولى ١٩٣٥ — الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)
- المجدلية الطبعة الأولى ١٩٣٧ — الطبعة الثالثة ١٩٩١
- قدموس الطبعة الأولى ١٩٤٤ — الطبعة الرابعة ١٩٩١
- رندلى الطبعة الأولى ١٩٥٠ — الطبعة الخامسة ١٩٩١
- غد النخبة الطبعة الأولى ١٩٥٤ — الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)
- أجل منك لا الطبعة الأولى ١٩٦٠ — الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة ومزيد عليها)
- لبنان ان حكي الطبعة الأولى ١٩٦٠ — الطبعة السادسة ١٩٩١
- كأس لحم الطبعة الأولى ١٩٦١ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- اجراس الياسمين الطبعة الأولى ١٩٧١ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- كتاب الورد الطبعة الأولى ١٩٧٢ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- قصائد من دفترها الطبعة الأولى ١٩٧٣ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- دلزى الطبعة الأولى ١٩٧٣ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- كما الأعمدة الطبعة الأولى ١٩٧٤ — الطبعة الثانية ١٩٩١
(مزيد عليها)
- الوثيقة التبادعية الطبعة الأولى ١٩٧٦ — الطبعة الثانية ١٩٩١
- خماسيات الصبا الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلد السادس

كما الأعْمدَة
الوثيقة التبادعية

كما الأعْمدة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٧٤

الطبعة الثانية ١٩٩١

لي صخرة

من أين، يا ذا الذي آتسمته أغصان،
من أين أنت، فداك السرو والبان؟

إن كنت من غير أهلي لا تمر بنا،
أو لا فما ضاق بابن الجار جيران!

* «لي صخرة»، «سائليني»، «غنيت مكة»، «نسمت»، «شام يا ذا سيف»، «مر بي» كلها قصائد تُغني بها فيروز.

ومن أنا؟ لا تَسَلْ. سمراء مَنِيَّتْهَا
في ملتقى ما التقت شمسٌ وشيطانٌ.

لي صخرةٌ عُلِقَتْ بالنَّجمِ أَسْكُنُهَا
طَارَتْ بها الكُتُبُ قَالَتْ: تلكَ لُبنانُ!

تَوَزَّعَتْهَا هُمُومُ المَجْدِ فَهِيَ هَوَى،
وَكُرُّ العُقَايِينِ تَرَبَّى فِيهِ عِقْبَانُ.

أَهْلِي، وَيَغْلُون، يَغْدُو المَوْتُ لِعَبْتِهِم
إِذَا تَطَلَّعَ صَوْبَ السَّفْحِ عُدْوَانُ،

من حَفْنَةٍ وشذا أَرَزَ كِفَايَتُهُم،
زَنُودُهُم إِنْ تَقَلَّ الأَرْضُ أَوْطَانُ.

هل جَنَّةُ اللهِ إِلَّا حَيْثُمَا هِنَيْتَ
عَيْنَاكَ؟ كُلُّ اتِّسَاعٍ بَعْدُ بُهْتَانُ.

هنا على شاطئٍ أو فوق عند ربِّي
تفتح الفكرُ قلت: الفكرُ نِسانُ !

دنيا الى نقطةٍ شَدَّت وما هَرَقَتْ
دماً، ألا إنَّ خُلُقَ الحرِّ سلطانُ !



كنا ونبقى لأننا المؤمنون به
وبعد، فليسعِ الأبطال ميدانُ !

على شاطئ الذرات

بعيداً، على شاطئ الذات،
في غمضة الأَشْهُبِ،

حوالي مَطْلُ الْوُجُودِ،
في الْعَبَقِ الطَّيِّبِ،

هنالك، والآنُ بين
المُمَهَّلِ والمُسْتَهَبِ،

شَدَّدْتُ يَدَ السَّرِّ وَهُوَ
عَلَى الْمَهْدِ بَعْدُ غَيِّ.

✱

أَنَا ابْنُ الدَّهْوَرِ، ابْنُ لِبْنَانَ،
وَعِيُ الْخَلِيقَةِ بِي،

أَنَا جُبْتُ ذَاتِي وَأَفْرَعْتُ
أُغْنِيَةَ الْمَطْلَبِ،

نَهَلْتُ الذُّهُولَ، نَهَلْتُ
شَحُوبَ الْفَتَى الْمُتَعَبِ،

وَصَمْتُ الْمَسَاءَ يُلْفُ
الْيَتِيمَ وَقَبْرَ الْأَبِ،

نَهَلْتُ الشَّقَاءَ الْمُهِلَّ
جَمِيلاً كَوَجْهِ نَبِي.

أنا ثَرَوَةٌ كالكَأَبَةِ
عُمَقاً وَكَالْغَيْهَبِ،

غَنِيٌّ أَحْسُّ الْوُجُودِ
غُبَاراً عَلَى مَلْعَبِي.

يَقُولُونَ: قَافِلَةٌ،
هَنَالِكَ، لَمْ تُغْلَبِ،

تَشِيدُ عَلَى الْفَتْحِ أَثَبَتْ
مِنْ مَجْدِكَ الْخُلْبِ،

لَهَا صَفْحَةُ الْأَرْضِ مَرْمَى،
وَنَاصِيَةُ الْكُوكَبِ.

قُلْ: الْفَتْحُ غَمْسُكَ فِي الذَّاتِ
كَفًّا مِنَ الصُّلْبِ،

ورشفكُ نفسك رشفَ
العتيقِ من المَشْرَبِ،

كأنتك حُلْمُك ضُمَّ
إليك... ولم يكذب! ...

زُجْجِلُ الْإِعرَاسِ

ذَكَّرْنِي، شَجَرَاتِ، اللوز، بالأبيض،
بشوبٍ إكليها وهي اليمامُ البَضُّ،

بها... تَخْطُرُ... تسترخي مدللة
على ذراعِ فتى كاللَّيْثِ إِنْ يَنْقُضُ.

سَيْفٌ ويحرّ معاً حتى لتعبده،
تقول: طَرْفُ الردى إِمَّا التّقاء غَضُ.

مَلَاكُـهُ هِيَ، إِنْ دَسَّتْ أَنْـمَلَهَا
بَيْنَ الْوُرُودِ اسْتَحَى شَوْكُ لَهَا وَارْفُضْ...

اللَّهُ يَا شَجَرَاتِ اللَّوْزِ، غَرْنَ وَلَا
تَغَرْنَ... فَالْحُسْنُ أَشْهَى الْحَسَنِ مَا أَمْرُضْ!

مِنَ الزَّمَانِ أَرَاهَا الْيَوْمَ رَاجِعَةً
تَمْشِي إِلَى بَيْتِنَا فِي طَرْحَةٍ أَعْرَضْ.

وَدِدْتُ لَوْ أَتَلَقَّاهَا وَأَحْبِسَهَا
فِي الْقَلْبِ شِقْرَاءَ شُقْرِ كَالشَّعَاعِ الْغَضِّ،

أُغْنِيَّةٌ هِيَ فِي بَالِي وَأَسْمَعُهَا
مَهَبَّ رِيحٍ دَنَا أَوْ نَاسِمًا أَعْرَضْ...

لَا لَا تَخَيَّلْتُهَا إِلَّا وَرَزْنُدُ أَبِي
يُلْفُ مِنْهَا عُرُوسًا خَصَرُهَا يَنْهَضْ...

فقر الدين الثاني

يا اندفاع الأمواج في شاطئ البوسفور،
رفقاً بذكریات الأمير !

ببقايا حلم تفوّف بالصُّبح،
وألوى، فالصبح ماتم نور،

فيه من وثبة الجريح الى الثأر،
وفيه من احتضار النسور !



هو فخر الدين، الفتى، يقرأ الأيام
في قول خازني وقور،

فيرى الأمس من مذابح حمر
نافرات على ممر الدهور.

جده، قبلة الشمس، قتيل،
وأبوه، دنيا أسي، في حفير،

والدروز الأباة يُغويهم السيف،
فيستقبلونه بالصدور،

وإذا وجه عين صوفر أشلاء،
وآفاقها بلون الزفير،

ويغض الأمير طرفاً، ويخفي،
خلف جفنيه، هزة للعصور.



بَسَمَ الدهرُ للشريد، وأعلى
العرش، ظمآن، للأمير الصغير،

أَرْضُ لُبْنَانَ حَفَّتْ، إنما ملعبُ
عينيه بَعْدَ بَعْدِ الضمير،

عصرت قلبه حدود دوانٍ
فَرَّأَهَا عَلَى شَفَا المعمور،

واستثار الأبطال يستلهمون
المجد... دوري بهم، ذرى المجد، دوري!

سأل فيهم شاطي طرابُلسٍ، وانشقَّ،
تيهاً، عن أنجمٍ في مسير،

وتداعى عرشُ ابن سيفا الى التُّربِ،
وخلَّى الصدى بصمَّ الصخور،

فاذا يُنصِتُ البنونَ الى الموجِ ،
يُحسُّونها قنّاً في الهدير !



وتنادوا من الشّمال الى زحلة
يسترقدونها في الكُرور،

فيهبُّ الشجعانُ ضجّ لهم سيفُ
وغنّى رمحٌ سيبقى سميري...

دانَ مجدُّ الفُريخِ ، دانَ شفا
الأردنّ، في وثبةٍ ونفخةٍ صور.

عُصبةٌ بُسِّلَ رَمَوْا بالمواضي
عند قبرِ المسيحِ ، رميَ الثُّدورِ،

قيل: حجّ ! وقيل: شوقُ سُيوفٍ
نزلت في التّهي نزول النّور.



كاد وجهُ الأمير يحجبُ من مجدٍ
عريقٍ، على السّهي منشور !

كاد لبنان يلتقي العالِي البابِ
بزئدٍ سمحِ الفتولِ، قدير !

فتلّوت أستاذة روعة الواجف
هزّته غصّةُ المقهور،

حلّمت بالشواظِ يُمطرُ لبنان،
وبالكرّ بالعديدِ الوفير،

فإذا البئر من غبارِ عُبابٍ،
وإذا البحر من دُخانِ حرور،

مِنْ عِدَى بُكْرِ الْعَتَادِ، تَكَادِ
الْأَرْضُ تَرْنُو إِلَيْهِمْ بِنْفُورِ.

لَمْ يَرْعُهُ التَّقَاؤُهُمْ وَعَلَى الْكَفِّ
فَوَادُّ لَهُ حَبِيبُ الْكَرُورِ،

رَاعَهُ حُلُمُهُ تُحَطِّمُهُ الْأَقْدَارُ،
طِفْلاً فِي هَدَاهَاتِ السَّرِيرِ،

فَأَمَحَى عَنْ عَدِيَّةٍ، يَكْظِمُ الْغَيْظَ
اشْتِيَاقَ الْيَوْمِ الْكَبِيرِ الْكَبِيرِ.

✱

بَيْنَمَا النَّاسُ هَيَّيْمٌ بِعَلَيَّ
وَلَدِ السَّيْفِ، حَذَّهِ الْمُسْتَطِيرِ،

كَانَ فِي مَقَلَبِ النَّهَارِ أَمِيرٌ
مُجْهَدُ الطَّرْفِ، مُجْهَدُ التَّفَكِيرِ،

يتلّوى على الخريطة، حُلماً
شائعاً في خطوطها والسطور،

مُتَعَبٌ، يَفْجُرُ الأسي مِحْجَرِيه،
وتداويه بسمه المحرور،

تعتريه، شوقاً الى مجد لبنان،
ارتعاشات مطلب مأسور

ويودُ التقاءَ الأرز بالوهم،
فيجري به الى البوسفور،

واذا بالنهارِ يستبقُ الليل،
ويطفو في قلبه الموتور،

فتقول الخريطة ارتقصت زهواً،
وطارت من كفه في سرور !

حَمَلْتَهُ إِلَى شَوَاطِيءِ لُبْنَانَ،
أَوَاذِيٍّ مِنْ مَنَىٍّ وَحُبُورٍ،

والتقاء البَلاطُ مولَى سِيحَمِي
جبهةَ التُّركِ مِنْ عَدُوٍّ مُغِيرٍ،

« شَفِيتُ مِنْ طَمَوحِهِ » مَقْلَتَاهُ،
وَتَعَرَّى مِنَ الْخِيَالِ الْخَطِيرِ،

لو رَأَوْا فِي الْبَلاطِ نُوراً لَكُبُوا،
فِي خَضَمِّ الْبُوسْفُورِ، بَازَ الْقُصُورِ !

✱

دَاسَ فِي أَرْضِهِ الْأَمِيرُ، فَرَّاحُ
الْجَبَلِ الْمَيْتِ فِي ثِيَابِ النُّشُورِ،

وَسَرَتْ رِعْشَةً بَلْبَنَانَ هَزَّتْ
مِنْ ذُرَى أَرْزِهِ إِلَى صَخَرِ صُورِ:

أُمَّةٌ تَسْتَرِدُّ مَجْدًا سَلِيًّا،
وَأَمِيرٌ يَلْهُو مَعَ الْمَقْدُورِ.

يَا حِجَاراً خَوَّفْتَ اللَّوْنَ فِي لُبْنَانَ،
قُصِّي كِتَابَ عَهْدٍ نَضِيرٍ !

قَلْعاً كُنْتَ، ضَا حَكَاتٍ مِنَ النُّجْمِ،
حَسَاناً، مَمَرَّدَاتِ الْخُصُورِ،

أَنْتَ تَيَّرُونَ ! أَنْتَ عَجَلُونَ ! أَنْتَ
الْمَرْقَبُ السَّمْحُ مَاطِراً بِالسَّعِيرِ !

أَنَا مَا دُسْتُ مَرَّةً حِجْراً مِنْكَ،
وَلَمْ أَتَفَضَّ لِذِكْرِ الْأَمِيرِ !

حَدِّثِي ! حَدِّثِي ! فَقِي لَوْنُكَ النَّاحِلِ
أَطْيَافَ جَيْشِنَا الْمَنْصُورِ !

سألت الأرض بالخيول مع الأردن،
سألت مع الخيال النفور،

تزرع الرأي خافقات، من العاصي
الى الميت، ضاحكات النشور،

ومن الأبيض الكبير الى تدمر،
رقاقة السنى والخبور.

ضحكت، يوم عنجر، الأسل السمر،
وشكت قلب الضحى المستجير،

لجب طيب العتاد التفته
باقة من شبابنا الممرور،

سايفته، لا قطعها قطع جبن.
رامحته، لا شكها شك زور.

أَجْفَلَ السَّهْلُ لِلطَّعَانِ ، وَأَغْضَى
وَجْهَهُ حَزْمُونَ لِلدَّمِ الْمَهْدُورِ ،

يَنْثُرُ السَّيْفُ قِرْنَهُ ، فَتَخَالَ
الْأَنْجَمَ الْحَمَرُ مِنْ حُسَامٍ نَثِيرِ ،

وَتَخَالَ الْأَمِيرَ ، فِي جَيْشِهِ الْعَابِسِ ،
يَمْشِي عَلَى ابْتِسَامِ الثُّغُورِ ،

ظَلَّ هَزْجُ الْفَرَسَانِ يَلْعَبُ بِاللَّيْلِ
إِلَى سَفَرَةِ الصَّبَاحِ الطَّرِيرِ ،

فَإِذَا صَبَحَ مُصْطَفَى ، قَائِدَ التُّرْكِ ،
حَزِينُ السَّنَى ، حَزِينُ السُّفُورِ ،

مَا رَأَاهُ الْأَمِيرُ إِلَّا التَّقَاهُ
بَسْخِيٍّ فِي كَفِّهِ ، مَوْزُورِ ،

ضربةً منه سمحةٌ كَبَّتِ الفارسَ
في قلبِ جيشه المدحور،

وأطلَّتْ شمسُ القمامِ، فحيَّتْ
جُنْدَ لُبْنَانَ بالشعاعِ الغرير،

ما انتهى مصطفى فقال ابنُ مَعْنٍ:
« يُعْطِكَ اللهُ، لستَ لي بأسير،

أَنْتَ حرٌّ ! فِطِرْ الى الشمسِ قلباً
واملاً العينَ من سنى التحرير ! »

✱

نَكَّسَتْ هامها الجبالُ، ودان
الشرقُ للمستقلَّ فيه، الجدير.

وجهُ فخرِ الدينِ انتفاضةُ قلبِ
مستهامٍ الى الخيالِ، كبير،

قِدَّةٌ من جبالِ لُبْنَانَ، في الليل،
ومن ضحكةِ القنا في النحور،

يعتلي صهوةَ الجَوادِ عَبُوساً،
فعلى الشرقِ رِيشةُ المخمور،

ويذوبُ الصهيلُ في سمعِ أَسْتانةٍ،
نجوى جداً ونجوى نقيير،

أيخلي مرادُّ الرابعِ العرشَ
على وهدةِ الردى والشفير ؟

أيخلي أميرَ لُبْنانَ تَيَّاهاً،
يشلُّ البندينِ في البوسفور ؟

حُلْمٌ في خيالِ لُبْنانَ رَحْبٌ،
رعرعته فينيقيا في الصدور:

سُفُنٌ تَمْخُرُ الْعُبَابَ وَتُبْقِي
الْهَرَقْلِيَّاتِ، خَلَقَهَا فِي قُصُورِ،

تَقْصِدُ الْقُطْبَ، وَالشَّوَاهِقَ فِي الْقُطْبِ
تُوَاخِي مَنَاجِمًا فِي بَكُورِ،

وَتَدُورُ اعْتِرَازَةً حَوْلَ بَكْرِ الْأَرْضِ،
تُغْرِي النُّضَارَ مِنْ أَوْفِيرِ،

تَزْرَعُ الْمُذْنَ فِي الشَّطُوطِ، تَرْبِي
قَاهَرَ الْمُسْتَحِيلِ رَمَزَ الْقَدِيرِ.

وَيَتِيَهُ السُّلْطَانُ فِي حُلْمِ لُبْنَانَ،
فَيُلَوِّي عَلَى جِسَامِ الْأُمُورِ.



حَمَلَةُ الْيَوْمِ، لَوْ تَكُونُ لِلْبُنَانِ،
لَرَدَّتْهُ سَيِّدَ الْمَعْمُورِ !

مِنْ رِجَالٍ أَوْفَوْا عَلَى الْهَمِّ عَدًّا،
وَسَفِينٍ أَرَبَتْ عَلَى التَّقْدِيرِ،

فَاللَّهْيَبُ اللَّهْيَبُ يُمَطِّرُ لُبْنَانَ،
وَيَرْمِيهِ بِالرَّدَى وَالذُّثُورِ،

وَيَخْلِيهِ شِعْلَةً مِنْ صَخُورٍ
بَعْدَ أَنْ كَانَ شِعْلَةً مِنْ زَهْوَرِ،

وَحَوَالِي الْأَمِيرِ مِنْ كَاطِمٍ قَسْرًا،
وَمِنْ حَاسِدٍ أَتَى الشَّرُورِ،

أَعْيَنَ يَخْنُقُ السَّنَى لَفْتَةً مِنْهَا،
فَتُغْضَى عَلَى مُرَادٍ ضَرِيرِ،

مَا اِطْمَأَنَّتْ لِلتُّرْكِ يُولُونَهَا الْقُوَّةَ،
إِلَّا تَفَجَّرَتْ عَنْ قُبُورِ،

العِدَى فِي رِجَالِهِ، وَالْعِدَى الثُّرَى
بِحُورٍ إِلَيْهِ إِثْرَ بَحُورٍ،

يَلْتَقِيهِمْ لَبْنَانُ بِالْعُصْبَةِ الْبُسْلِ
تَأْقُوا إِلَى الطُّعَانِ الْآخِرِ،

فَيَمُوتُونَ عَنْ نَفُوسٍ كِبَارٍ،
وَيَنَامُونَ مَلَأَ طَرْفٍ قَرِيرَ.

قَلْعَةٌ إِثْرَ قَلْعَةٍ تُسَلِّمُ الْأَبْرَاجَ،
إِلَّا تَيَرُونَ، أَخْتِ النَّسُورَ،

مَعْقِلُ الْحُلُمِ كَمْ أَبَتْ أَنْ تَدَاعَى،
هَزُؤًا بِالزَّمَانِ وَالْمَقْدُورِ،

مَا رَمَاهَا الْأَمِيرُ بِالدمْعِ، لَوْلَا
السُّمُّ فِي مَائِهَا الزَّلَالِ النَّمِيرِ،

ورعته بطرفها ورعاها
في وداعٍ أدمى غناء الطيور،

ومضى، سيفُهُ كسيرٌ بأُستانةٍ
مُخضوضِبٌ بحُلُمٍ كبيرٍ !



يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رفقاً بذكرياتِ الأميرِ !

الْمُنِيرَةُ

عَالَمٌ طَيِّعٌ نَعِيمٌ
يَتَحَدَّثُ بِهِ الْعَلِيمُ

ضَمَّةُ الْقَبْلِ إِلَى الْبَعْدِ
بُعْمَرٌ نَعْتُهُمْ
! وَهِيَ

دَقُّ كَالْبَرْقَةِ، شُكَّتْ
خِيَمَةٌ فَوْقَ الْأُمَمِ،

لا وثوبٌ في ظنونٍ
لم يُفجّرهُ همم،

أو بناءٌ من خيالٍ
لم يُرعرعهُ شمم،

يُخصِبُ الفكرةَ يستنطقُها
السِرُّ الأصم،

ويعرّي بيديه
الشمسَ في قلبِ القَتَم.

✱

وإذا نحنُ، الى الله،
شراعٌ في خِضَم !

لنشر الدُّسَيَّافِ

تصَبَّأكَ شِعْرِي، قَلْتُهُ قِمَمَ الْمَجْدِ،
سَلَامٌ عَلَيْهِ السَّيْفُ أُعْجِبَ بِالْغَمْدِ !

وَقُلْتَ بِهِ مَا صَيَّرَ الْآةَ وَرَدَةً
وَأَنْتَ جِرَاحُ الْآةِ، يَا نَسْمَةَ الْوَرْدِ !

* فِي يَوْمِ امِينِ تَقِي الدِّينِ.

حَبِيبُكَ، مَا حُبِّي الشَّهَامَةُ ؟ مَا الْغَوَى
بِأَهْلِي وَبِالْقِمَامِ مِنْ جَبَلِي الْفَرْدِ ؟

أَنَا، بَعْدَ مَا ظَلَمْتَنِي تَطَلَّعْتُ
جِهَاتِي إِلَى نَفْسِي وَنَفْسِي إِلَى الزُّهْدِ.

هُنَاكَ التَّقِينَا وَافْتَرَقْنَا... جِرَاحُنَا
لَتَبْنِي، لَكِنْ أَنْتَ تَسْكُرُ بِالْوَعْدِ،

وَأَقْسُو أَنَا أَقْسُو، أُرِيدُهُمْ لَهَا،
فَإِنْ جَبْنُوا طَلَبْتُ الْجَنَاحِينَ لِي وَحْدِي.

✱

كَأَنِّي مَهْبُتُ الرِّيحِ، وَالصُّعْبُ مُنْزَلِي،
وَشُعْلِي حَطُّ الْحُسْنِ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ.

كَأَنِّي غَمُوضُ اللَّيْلِ، لَمْ يَبْقَ عَازِفٌ
لِجَنِّيَةِ إِلَّا وَرَقَصَهَا عِنْدِي..

أَقُولُ: الحَيَاةُ العِزُّمُ، حَتَّى إِذَا أُنَامَ
انْتَهَيْتُ تَوَلَّيْتُ القَبْرَ عِزَّمِي مِنْ بَعْدِي.

وَأَقْرَأُنِي يَوْمًا كَمَا لَوْ مِنَ الصَّدَى،
وَمِنْ كَاعِبٍ فِي الشَّعْرِ عَالِيَةِ النَّهْدِ،

لَتَفْدَى الحَيَاةُ اسْتُجِيعَتْ فِي قَصِيدَةٍ
وَعَنَّتْ وَرَدَّتْ... فَانْتَشَى الْأَفَقُ مِنْ رَدٍّ...

تَقُولُ بِهَا: « حَبَّاتُ، يَا لَيْلٍ، فَيْلَكِ... » وَلِيُكَمِّلَ
وَيَفْنِ اللَّيْلُ فِي التَّعَمُّ الرُّغْدِ!

تَعَاظَمَنِي مَا ظَلَّ مِنْهَا وَمَا انْتَهَى
وَيُعَدِي، وَعَيْنِيكَ، الْبَهَاءُ بِهِ، يُعَدِي...

وَصِيرْنَا هِيَ الدَّفْلَى... وَصِيرْنَا أَنَا النَّدَى.
وَنُقْشُ مِنْ دِيْوَانِ شَعْرِ عَلِيٍّ الْجِلْدِ...

ذُرُونِي... سَاطُوِي قَصَّتِي مَعَ قَصِيدَةٍ
إِلَى أَنْ يَطِيبَ الْعُودُ فِي نَقْرَةِ الْكُرْدِ.



وَيَا أَيُّهَا الدِّيَّانُ ضَمِّ شَمَائِلًا
كَمَا ضَمَّ مَوْجُوعَ الْعَرَارِ ثَرَى نَجْدِ،

تَنْزِلُ تُخَلُّ الشُّعْرَ أَشْعَرَ، وَالْهَوَى
أَرْقُ، وَذَلِكَ الْمُنْحَنَى جَنَّةَ الْخَلْدِ !

لِجَبْرِ هَمِي كَالضَّوءِ عَنْ جَرِّ رِيشَةٍ،
تَطَلَّعَتِ الْأَقْلَامُ تَنْهَلُ مِنْ نَدٍّ...

هُوَ السَّفْحُ يُسْتَهْوَى، عَلَى أَنَّهُ الذُّرَى
إِذَا قُصِدَتْ خَلَّتْ لَهَا عَلَى الْقَصْدِ،

كَذَا طُرُقُ الْأَبْطَالِ فِي الْقَوْلِ وَالْوَعَى
وَمَا سَهَلَتْ إِلَّا جِبَانَةُ مُرْتَدٍّ.

إِذَا نَقَطَ حَرْفَ شَاءَهُ رَبُّ مِرْقَمٍ
أَنِيقًا، فَقَلَّ عَيْنٌ تَعَذَّبُ مِنْ سُهْدٍ.

تَعَالَتْ يَدَاهُ شَاعِرٍ، كُلُّ نَسَمَةٍ
تُلَمُّ بِمَا أَخْفَاهُ، تَشْقَى بِمَا تُبْدِي،

وَلَوْعٌ بَانْغَامِ السُّكُوتِ يَصْبُهَا
لِمَلَّةٍ رَفُضٍ، يُسَكِّرُ الضِّدَّ بِالضِّدِّ،

أَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ، فَلَوْلَا أُنَيْنُهُ
لَكَانَتْ لِقِرطَاسِي جَفَاءَةً مُعْتَدَّةً.

يَقُولُونَ بِي غَالِي ؟ أَنَا بَعْضُ نَيْلِهِ
وَأَنْظِمُ، عَيْنِي فِي قَصَائِدِهِ الْمُلْدَةِ...

سَلِيلُ الْأُولَى قِيلُوا السُّيُوفُ ، رَثْتُ لَهُمْ
جِبَالٌ وَقَالَ الْحَقُّ: مِنْ بَعْضِهِمْ جُنْدِي.

على ريف لبنان نَمَوْا مُثْلَمَا نَمَا
الضياءُ، وسالَ الفَجِيرُ في القَمَمِ الجُرَدَ،

وأنى مَضَوْا ظَلُّوا بَلْبَنانَ قَلْبُهُمْ،
ويصبو الى اَرْضِ العَرِينِ هَوَى الأُسْدِ.

يُشْرِقُ شَطْطٌ أَوْ تُغْرِبُ مَوْجَةٌ
وهم عنفوان الصخرِ ليس الى شَدِّ.

أنا اليومَ منهم في قصيدة شاعرٍ
لَتَسْكُنَنِي كالريحِ تَلْفَحُ من بَرْدِ.

أعودُ اليها الآنَ لَبَّيْ هَلْ طَلَبَ تَقْرِيدُ
على العودِ، ذاك الغارسُ القُرْبَ في البُعدِ؟

وذات دَلالٍ كُلَّ صَبْحٍ تَزُورُنِي
فأقرأها من أُلْحَمَ صَيِّهَا الى العِقْدِ،

إلى جبهةٍ باقيةٍ على الشمس ظلُّها،
إليها جميعاً إذ تُعْرِى مِنَ البُرْدِ:

هنا مثل قوسٍ ضاربٍ فوق هُدْبِها،
هنالك صُبْحٌ صَيَّعٌ مِنْ سَكْبَةِ الزُّلْدِ،

وتُعَذِّبُ... لكن ليس تَسْهُلُ، صعبةٌ،
فَتُعْطِي وَلَا تُعْطِي، مُلْعَبَةُ الصَّدِّ

بِقَدِّ تَسَامِي زَنْبِقاً فَإِنْ هَوَى
وَأَوْجَعَ... قُلْتُ. اللّٰحْنُ مَاتَ مَعَ الْقَدِّ.

وَتَقْلُقُ دوماً ليس تهْدَأُ، فَنَهَى لِي
وَلِلْوَجْدِ أَوْ لِلْمَجْدِ، أَشْهَى مِنَ الْوَجْدِ !

وزيدٌ عليها مثلُ لا شيءٍ، مثْلُها...
كما لَفْحَةٍ تَسْنِي الْإِلَهَ غَلِيَّ، الْحَدِّ.

وَيَزَلُّ بِبِي طَرْفِي... أَشَلَّالُ لُؤْلُؤٍ
سَنَى الْجِسْمِ مَذْرِيًّا عَلَى الشَّعْرِ الْجَعْدِ؟

أَيُّضَاءُ أَمْ صَهْبَاءُ؟... دَعَكَ وَضَمَّهَا...
كَأَنَّ قَدْ أَضَلَّتْكَ الْغَلَالَةُ عَنْ رُشْدٍ...

تَمَتَّعَ... صَبَا حَسَنَاءَ ذَاكَ أَمْ أَنَّهُ
قَصِيدَةُ مَنْ إِنْ رَاحَ يَنْظُمُ لَا يَرْدِي؟

بِهِ أَوْ بِيَعُضٍ مِنْ سُلَالَةِ شِعْرِهِ
زَهَوْنَا زُهُوَّ الْبَرْقِ أَوْ قَصْفَةِ الرِّعْدِ...

وَرَبَّ كَلَامٍ رُحْتَ تَنْسَى رَنِينَهُ
وَمَذْرَأُهُ مَا زَادَ عَنْ حَبَّةِ الرُّنْدِ،

تَكَسَّرَتْ الْأَسْيَافُ دُونَ جَلَالِهِ
وَقَالَتْ بِلَادٌ: حُجَّةٌ، إِنَّهُ مَجْدِي!

من ورودين (اثنين) الشمس ...

سيفٌ على البطل أم شيمائك الحرم ؟
— يا شعرُ خلّد — وسيفٌ ذلك القلم !

فكيف مرّك بالجلّى ؟ سألتك قل
ما هابك الموت ؟ ما انزاحت لك الظلم ؟

* في ذكرى شبلي الملاط.

ماضيكَ، غَزَارَةُ كالصَّحْوِ، مُلْتَفَتٌ
كَأَنَّمَا الصَّقَرُ فِي تَحْدِيقِهِ نَهْمٌ،

صَدَّقْتُهُمْ كُلَّ هَذَايَ حُثُوحَتِهِ طَوَيْتَ،
صَدَّقْتُهُمْ فَتٌ فِي عَزَمِ الشُّبَا الْهَرَمِ،

صَدَّقْتُهُمْ عَلِمُوا بِالْعَبْقَرِيِّ مَضَى،
لَكِنَّهُمْ بِشُمُوحِ الرَّأْسِ مَا عَلِمُوا.

✱

بِالْأَمْسِ دِينُوكَ اسْتَجِدُّهُ عَقِباً
مِنْهُ الْحَزَامُ، عَلَيَاتٍ بِهِ الْقِيَمُ،

فَخِلْتَنِي فَلَكِيًّا، مِثْلُ الْبِرَاءَةِ لِي،
حَوْلِي يَدُورُ السُّهَى يَجْثُو وَيَسْتَلِمُ،

أَبَابِلُ، قُلْتُ، زَارْتَنِي وَقَدْ حَمَلْتُ
إِلَيَّ أَشْيَاءَ أَمْ غَنَائِي الْهَشْرُمُ؟

وَلَيْسَ، أَوْلَعْتُ، وَدَّتْ، لَوْ تَكُونُ أُنَا
رُوحَ الرِّيحِ، وَوَدَّتْ الزَّهْبُ، وَالْأَكْمَلُ



مَا لِي أَغْنِيكَ، « أَهْلِي الثَّوَرُ مِنْهُمْ،
عَالُونَ كَالْأَرْزِ، جَارِ اللَّهِ، مَا رَغِمُوا

مَا نَكَسُوا هَامَتَهُ إِلَّا لِخَالِقِهِ،
إِلَّا لِّلْبَنَانِ مَا دَانُوا وَمَا أَخْكَمُوا،

فِي الزَّهْمِ، أَنَا، دُنْيَايَ الْجَمَالِ، وَإِنْ
بَاعَدْتُ، فَالْسَفْحُ مِنْ لُبْنَانٍ وَالْقِمَمُ،

إِلَّا إِلِيكَ، إِلَهِي، مَا مَنَعَتْ يَدِي
لِيَجُوعَ، مَنْ أَعْرَفَنِي، خَيْرٌ وَمَعْتَمِرٌ،

وَيَوْمَ يَمُرُّ بِآلِ زَيْنَةَ تَكُونُ لَنَا
بِرَاعَةِ بِالْهَدْيِ وَالنَّيْلِ تَضِطَّرُّ،

على السنى وعلى شك القنا ربيت
على الزئير، أوانات الجمي أجم،

ظننت شغرك فخر الدين منتهراً:
« جنود عنجر، هذا يومها الهمم ! »

يسخى فيسخون، قلت السيف في يده
يسخى وتلتفت القيعان والرجم،

حرمون في الأفق يروي عن بطولتهم،
صنين يغوى بهم تيهاً وينسجم،

لله ما ماد من برج، وزلزل عن
سرج، ومن قضموا رُمحاً ومن قحموا،

هم الأولى أخذوا عن راسياتهم
أن القلاع وأن الراسيات هم !

حَتَّى إِذَا قَالَ: « كُفُّوا، قَدْ عَفَوْتُ أَنَا،
بِحَسْبِي النَّصْرُ، مَا لُبْنَانُ مُنْتَقِمٌ »،

تَلَاخِظَتْ مِنْ أَسَاها الْخَيْلُ صَاهِلَةً،
وَقُتَّتْ كَاطِمَاتٍ غِيظَهَا اللَّجْمُ،

لَكُنَّمَا عَبَسَةً مِنْ حَاجِيهِ طَعَتْ،
فَعَادَتْ الْخَيْلُ كَالْفُرْسَانِ تَبْتَسِمُ!...



طَابَتْ قِصَائِدُ خِلْتُ الْجَيْشَ مَنْدَفِعاً
فِيهَا، وَمُؤْتَلِقاً فِي أَفْقِهِ الْعَلَمُ!

شِعْرُ الرِّجُولَةِ، شَبْلِي، أَنْتَ بَبْعَتُهُ
بِكَ ارْتَوَتْ أُمَّةٌ، مِنْكَ انْتَشَتْ أُمَمٌ.

بَلَى بَلَى، لَكُما فِي الدَّهْرِ وَقَعَ خُطْيُ
عَلَى الْعُلَى لَوْنَتْ مِنْ شَاوِهَا الدَّيْمُ.

الفاظك الذهم حُمِرَ حينَ ترصُفها،
لا حُمُرُهُ أُسْرِجَتْ أبهى دولا الذهم.

أنت أم هو من خلَّى الجملة على
مفارقِ المجد، مُفْتَنًا بما يسيم؟

خَلَطْتُ بَيْنَكُمَا حَتَّى لَأَسْأَلُهُ
أشاعرًا - كان - حينَ الطَّعْنِ مُحْتَدِمٌ؟

تَوَقَّعِ السَّيْفُ يَوْمَ اخْتِالَ فِي يَدِهِ
مَا سَوْفَ تَأْخُذُهُ عَنْ حَبْرِكَ الْحَمَمِ.

أنتِ المُرْوَعُهَا الْأَفْكَارِ تَأْسِيرُهَا،
هو الْمُمنَعُهَا الْهَمَّاتِ يَنْتَظِمُ.

هَذَا امْتِشَاقٌ لِمَعْنَى بَرَنَ يَارِقُهُ،
هناك نُقْطَةٌ يَتَّصِلُ وَالْحَرُوفُ دَمٌ.

تُغْرِي وَيُغْرِي فَلَقِظْ مِنْكَ هُزُّ قَنَاءٍ،
وَمِنْهُ قَطْعُ تَقْوَلِ الْبَيْتِ يُخْتَمُ.

أَرْهَفْتُمَاهَا الْقَوَافِي حَدُّهَا لَهَبٌ،
أَجْرَيْتُمَاهَا الْمَوَاضِي سَيْلُهَا عَرِمٌ.

مَرَّرْتُمَا فَوْقَ دُنْيَانَا مَعَاً وَمَعَاً
لَاعِبْتُمَا الْمَوْتَ حَتَّى لَهَوَ مُنْهَزِمٌ.

يَا صَبِيَّوَهُ مَنِبْتَأُ ذَاكَ الَّذِي نَحْتَوَا
مِنْ اسْمِهِ اسْمُكَ، هَلْ أَنْطَقْتُ مَنْ وَجَمُوا ؟

تَفِي وَلَوْ أَنْتَ تَخْلَفَ الْقَبْرِ، هَاكَ أَنَا،
فِي يَوْمِ تَخْلِدِكَ، صَوْتِي بَعْضُهُ الْكَرَمُ.

مِنْ وَرْدَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ الشَّمْسُ أَرْفَعُهَا،
فَالْكَوْنُ شَخْطَةُ جَبْرِ وَالْمَدَى كَلِمُ !

في البال خلف الحرير الزهر خاطرة
تململت قلتُ حُسْنُ بالهوى برِّمُ،

— « حبيبي الحلو، ناديت، والذراعُ على
جيدٍ، وجودُ أنا أم وهمُ منَ وهموا؟

حَلَمْتَنِي؟ أَكْمِلْ أَتَخْلُقْ، ليس أجملُ من
إِطْلَالِ رَاكِعٍ فِي بَابِهَا الْعَدَمِ.

مِنْ بَعْدِ مَا التَّقَى نَفْسِي يُخَيِّلُ لِي
أَنِّي أَنَا قُبْلَةُ حَرَى وَأَنْتَ فَمٌ.

لَا لَمْ أَجِبْهَا، جَمَعْتُ الدَّهْرَ، مَنْ عَشِقُوا،
مَنْ أَسْكَرُوا الْكَأْسَ، مَنْ قَالُوا وَمَنْ أُثِمُوا.

سَقَيْتُهَا لَا دُمُ الْعَنْقُودِ أَطْيَبُ لَا،
وَلَا الْخُلُودُ وَلَا مَا فَتَّقَ الْقَدَمُ،

وما بقرطاجة استشهدوا وما اعتزمت
بِعَلْبِكَ الطُّوَالِ السَّتَّةُ العُظْم.

رويتها لي، لبالي، للزهور، لها،
كما رويت لِعَوْدِ أَنَّهُ نَعَم !

فَقَرَّبْتُ شَفَةَ وَلَهَى إِلَى شَفَةِ،
وَهَبَّ يَعْطِفُ قَدْ الزَّنْبَقِ النَّسَم.

أَوَاهِ مِنْ كَرَمَةٍ لَمْ يَصْحُ قَاطِفُهَا
إِلَّا لِيَشْهَدَ هَذَا الْكُونُ يَنْعَدَم !

وَمَنْ رَقَى الْمَوْتَ ؟ مَنْ قَالَتْ أَصَابِعُهُ
سَأَسْخَرُ السَّخَرَ حَتَّى تُبْعَثَ الرَّمَم ؟

أَمَانَ عَيْنِكَ، بَيْتَ الشَّعْرِ، أَنْتَ لَهَا،
يَا أَتَجُمُّ آرْقُصْنَ لِي، غَنِّينَ يَا سُدُم !

الشَّعْرُ قَبْضٌ عَلَى الدُّنْيَا مُشْعِشَةً
كَمَا وَرَاءَ قَمِيصٍ شَغِشَتْ نُجُومٌ،

فَأَنْتِ وَالْكَوْنُ تَيَّاهَانِ: كَأْسُ طِلَافٍ
دُقْتُ بِكَأْسٍ وَحُلْمٌ لَمَّهُ حُلْمٌ.

*

عَالٍ كَمَا أَنْتِ شَبْلِي، مَا رَشَقْتُ بِهِ
بَابَ السَّمَاءِ وَمَا بِالْعَيْبِ يَصْطَلِدُ،

أَتِي عَلَى الْمُغْلَقِ الْمَرْصُودِ فَانْفَتَحَتْ
كَفٌّ مِنْ اللَّهِ مَا الْأَزْهَارُ؟ مَا الْحِكْمُ؟

شِعْرٌ إِلَيَّ يَشُدُّ الْمُنْتَهَى جَزَعاً
قَلْباً، وَمِنْهُ بِقَلْبِ الْمُنْتَهَى أَلَمٌ.

سَارَرْتُهَا الشَّمْسَ، أَيُّ الْخَمْرِ يُسْكِرُهَا
حَتَّى أَصَبَّ؟ فَقَالَتْ: «يُسْكِرُ الشَّمَمُ!»

النهر

وُلِدْتُ سُرِيرِي ضِفَّةُ النهر، فالنهرُ
تآخى وعُمري مثلما الوردُ والشَّهرُ،

وكان أبي كالمَوجِ يَهْدُرُ، مرَّةً
يُدْخِرُ من صَخْرٍ وأنا هو الصخرُ!

• في الاحتفال بنيل شولوخوف جائزة نوبل.

وقد علّمني الحقّ، ما الحقّ ؟ دُفَعَةٌ
كما السَّيْلُ عنه انشَقَّ واخضوضر القفر.

وعُمُرٌ شَرَارٌ ليس يَأْسُنُ ينتخبي
على الصَّغْب، فهو الشَّرْدُ والبرْدُ والحرّ،

وَأَنْكَ حَطٌّ كالشَّهَامَةِ واقِفٌ
إذا انهار ظَهْرُ النَّاسِ أَنْتَ لَهُمْ ظَهْرٌ.

وما قَلَمٌ بِالْكَفِّ إِنْ لَمْ تَهْمُ بِهِ
مَوَاضٍ وَتُحْسِنُهُ الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمَرُ!

تَوَحَّدَ مَنْ مِنْ حَزِّهِ طَابَ حِجْرُهُ،
وَمَنْ بَتَلَقَى طَعْنَهُ اقْتَتَنَ الصَّدْرُ،

أَنَا عَنْهُمَا ذِيَّيْنِكَ الشَّائِلِينَ بِي
أَخَذْتُ وَلَمْ أُسَكِّرْ، وَبِي تَسَكَّرُ الْخَمْرُ!...

كَأَنِّي بَيْنَ الْمَوْجِ وَالْمَجْدِ سَاكِنٌ،
وَدَارِي بِنْتُ الصُّبْحِ مَا شَابَهَا عَصْرٌ.

لَئِنْ تَحَكَّ عَنْ نَهْرٍ فَشَطْرُ قَصِيدَتِي
يُطِلُّ، وَهَزَّ السِّيفُ يَكْتَمِلُ الشَّطْرُ!...



تُحَبِّبُهُ «الدُّوْنَ» كُلُّ تُرَابَةٍ
سَقَاهَا سَقَى أُخْتًا لَهَا الْقَلَمُ النُّضْرُ؟

كَلَامُكَ يُغْرِينِي، يُرْنِجُ خَاطِرِي،
يُذَكِّرُنِي بِالْأَرْضِ، أَرْضِي اللَّهُ نَعْرُ،

تُقَبِّلُ حَتَّى لَهَي أُمٍّ... وَطِفْلَةٌ
رَضَى... وَعُرُوسٌ فَاحَ مِنْ رُذْنِهَا الْعِطْرُ!...

أَغْنِي أَنَا لُبَّانٌ أَجْمَلُ مَا شَدَا
كَنَارِي غُصْنُ رَقٍّ، لَكِنَّهُ نَسْر...

وَأَنْتَ تُغْنِي رُقْعَةً مِنْ جِبَالِهَا
جِبَالَ، عَلَيْهَا مُتَعَبٌ يَتَكِي الدَّهْرَ.

كِلَانَا شُغُوفٌ بِالضُّفَافِ وَأَهْلِهَا
يُنْشِئُهُمْ تَبَعٌ يُخَلِّقُهُمْ زَهْرٌ،

كَتَبَهُمْ أَعْطَوْا جَدِيداً وَطَيَّبُوا،
كَزْهِرِهِمُ الدُّنْيَا، وَكَالْزَهْرَةِ افْتَرَوْا...

تُغْنِي هِدْوَةَ «الدُّنْيَا»؟ عَفْوَك: أَهْلُهُ
إِذَا بَعَثُوا فَجْراً أَهْلٌ لَهُمْ فَجْرٌ!

جَلَّلْتُكُمَا عَنْهَا فَلَا «الدُّنْيَا» هَادِيٌّ
وَلَا أَنْتَ، إِلَّا أَنْ يَلْفُكُمَا السِّرُّ.

أَسْأَلُ: «هَلْ حَارَتْ بِغَيْرِ نُهَاكُمَا
عَقُولٌ، وَهَلْ جَاهَى بِمِثْلِكُمَا الْعَصْرُ؟

وَنَهَرُ الرِّجَالِ الْمُتَهَيِّ خَلْفَ أَنْجَمٍ
وَأَنْتِ تَخُطُّ النَّهْرَ، أَيُّكُمَا النَّهْرُ؟



حَبِيبُكَ، يَا غَزَّارَةً مَا تَجَاهَرَتْ،
وَمَنْ قَالَ: صَوْتُ النَّايِ أَجْمَلُهُ الْجَهْرُ؟

تَعْمِلُ عَلَى الْقِرْطَاسِ تَأْمُرُهُ: أَمْتَشِلْ
غَمَاماً، فَيَسْخَى لَيْسَ يَجْرَحُهُ الْأَمْرُ،

إِخَالُ الرِّقَاعِ الْخُضْرَ بِشَنْ حَبَائِباً
إِلَيْكَ... فَهَا عُتْقُ يَضِجُ وَهَا خَصْرُ!...

وَأَنْتِ حَوَالِيَهُنَّ كَفَّ عَطِيَّةً
كَمَا اللَّهُ إِنْ قَطَرَأُ أَرَادَتْ هَمَى الْقَطَرِ!

وَإِنْ أَنْتِ قَصَفْتَ الْقُصُورَ تَلَالُثُ
غُصُونٌ عَلَيْهِنَّ الطُّيُورُ لَهَا كَرٌّ.

تُعَاتِبُ أَنْتَ الشَّيْخَ وَالرَّيْحَ، بِاعْدَا
عَشِيًّا، فَتَبْكِي الرِّيحُ وَالشَّيْخُ يَصْفَرُ !

أَلَا أَيْنَ مِنْكَ الصَّاحِبُونَ ؟ هَزَزْتَهُمْ
بِقَوْلٍ وَبَعْضُ الْقَوْلِ نَاهِدَةٌ بِكَرٍ.

لِطَرْفَةٍ جَفَنٍ مِنْ حَيَاهَا غَضِيضَةٍ
يَذِلُّ الَّذِي فِي الْقَصْرِ أَوْ يَقَعُ الْقَصْرُ،

وَلِلْفُظَةِ الْمَكْنُونِ سِرٌّ جَمَالُهَا
تَفَاذُّ كَهْدُ الْمَوْجِ جُنٌّ بِهِ الْبَحْرُ.



تُقْصُرُ ؟ ... ارْتَفَقَ بِالشَّعْرِ، أَنْتَ بَدَعْتَهُ
كَلَامُكَ زَهْرُ الْجَمْرِ لَوْ يُزْهِرُ الْجَمْرُ.

تَخْطُ كَمَا خَطَّ اللَّعُوبُونَ بِالْعُلَى
عَلَى أُنْمَلَاتٍ مِنْهُمْ اغْتَرَبَ الْفِكْرُ،

يُحَرِّثُونَ كَوْنًا، يَنْزِلُونَ بَآخِرٍ
وَكُلٌّ عَلَى كَفٍّ... فَقُلْ بَعْدَ مَا السَّحَرُ !



إِلَيْكَ بِنَفْحِ الْأَرْزِ جَمًّا بَعْثُهُ،
وَعُلُقَ عُودُ اللَّهِ فِي الْأَرْزِ. فَالْتَقِرْ

وَشَيْكَ. كُنِ الْعَوَّادَ وَأَضْرِبْ بَرِيشَةَ
عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ مِثْلِهَا الْعَمُرُ وَالْعَمُرُ.

وَأَنْتَ مِنَ اللَّائِي يُحْيُونَ. إِنَّهُمْ
عَلَى أَرْضِكَ الْمِعْطَاءِ، أَفْدِيهِمْ، كُثْرُ.

وَمِنْ عِنْدِنَا الْمَجْدُ الَّذِي الْمَجْدُ بَعْضُهُ
إِلَيْهِ رَنَا مَنْ أَلْهَمَ السُّفْرَ، وَالسُّفْرُ،

فَلَمْ يُعْطَهُ مِنْ سَارِ الشَّعْرِ لَاهْتًا
وَلَكِنَّمَا مَنْ جَاءَ يَقْصِدُهُ الشَّعْرُ.

البرق والحداد

بيالي مررت اليوم، فَلَيْسَتْ عَلْ بَالِي،
كَأَنَّكَ قَصَفُ الرعد في الجبل العالي،

كَأَنَّكَ لَوْنٌ فِي الطَّيْعَةِ آخِرٌ،
أَوْ آسَمٌ كَطَيْرِ الرُّخِّ أَوْ شَجَرِ الضَّالِّ.

* ليلة تذكّر الرفاق عمر فاحوري.

لِخَاطِرَةِ أَغْرِيَتْهَا وَحَبَسَتْهَا
بَلْفَظٍ، بَكَى غَيْرَانَ لَوْلَوْ لَأَالَ.

إِذَا الْقَوْلُ مَا شَدَّ الرِّيعَ، وَلَا شَدَا
عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عُصْفُورُهُ الْغَالِي،

وَلَمْ يَسْتَرْخِ فِيهِ الزَّمَانُ، وَتَشْتَبِكُ
نُجُومٌ بِأَزْهَارٍ، كَمَا الْمِعْصَمُ الْحَالِي،

فَلَا كَانَ!... إِنْ الْقَوْلُ مَا آهَ مِنْ هَوًى
وَشَعْشَعٍ، قَلَّتِ الْأَرْضُ مُسَّتْ بِزِلْزَالٍ.

✱

حَبِيبُكَ تُغْنِي الْعَصْرَ، تُطْلِقُهُ عَلَى
الرِّيحِ، تُنَبِّئُهُ بِكَثَارِ إِقْلَالٍ،

تُلَقِّنُهُ كَيْفَ افْتِنَانُ أَصَابِعٍ
بِمَجْدٍ، وَكَيْفَ الْمَجْدُ تَحْطِيطُ أَغْلَالٍ.

فَلا صَغُرَتْ أَرْضٌ، وَلا قَلَّ شَعْبُهَا،
وَلَكِنِّهَا الدُّنْيَا لِجَوَابِ آمَالٍ !

لِمَنْ بَرِمَتْ مِنْهُ يَدَانِ رَمَاهُمَا
بَأَنَّ تَغْدُوا فِي السَّكَبِ دَفْقَةً شَلَّالٍ !

فَلا شَيْءٌ مِمَّا طَابَ شَيْئاً وَلَعِبَةً
تَشِيلُ الرَّبَى، إِلَّا نَأْتِي لَشَيْئَالٍ !

✱

كَفَى أَنْ تُحِبَّ الْحُسْنَ، مَقْلَعَكَ السَّئِي،
تُقَصِّبُ: بَانِي الضَّوءِ بَانٍ لِأَجِيَالٍ.

✱

وَمَنْ مَارَدُ الْبَابِ الَّذِي قَلَّتْهُ ازْدَهَى
وَطَيْبٌ مَرَّصُوداً كَمَا الْمَاءُ فِي الْآلِ ؟

يَقُولُونَهُ حُلْماً يُخَيِّبُ ؟ وَيَحْهَمُ !
أَمَّا وَاهِمٌ بِالْحُبِّ أَشْرَفُ مِنْ سَالٍ ؟

مَقَامُكَ فِي أَرْجَائِهِمْ كَانَ هَتَفَةً
بِمَوْتِي، وَكَانَ الْمُسْتَجِيرَ بِأُظْلَالِ:

تَخَالُهُمْ دُنْيَاكَ، إِذْ هُمْ بَرِيقُهَا...
وَأَلْهَةً، إِذْ هُمْ تَمَاثِيلُ صَلَصال...



سَيِّقِي لَكَ النَّسْجَ الَّذِي أَنْتَ رَبُّهُ،
وَلِلشَّمْسِ نَسْجَ كُلِّ مَا دَوَّهَ بِالِ.

غُبَارٌ عَلَى الثُّوبِ الَّذِي أَنْتَ خَالِعٌ
لِمَنْهُ عُرُوشُ الْأَرْضِ تُشْرَى بِمِثْقَالِ.

وَإِنْ أَنْتَ، يَوْمَ الرِّصْدِ، مَا كُنْتَ مَارِداً
وَبَاباً، فَمَا نَحْزَنُ وَمَا فَضُّ أَقْفَالِ؟



سَلَامٌ عَلَى الْغَزَّارَةِ أَحْمَرَ وَجْهَهَا
وَلَكِنْ كَمَا الْوَرْدُ الْوَدِيعُ بِإِدْلَالِ،

أقول: أنزلي، يا بعلبك، أنزلي معي
الزمانَ خططناهُ كما الورْدُ في البال !

ومتا الذي تاقَتْ الى وجهه العُلى،
ومتا العُلى فليَمَحِ الطَّلُّ البالي.



من الغيبِ، فوقَ الغيبِ، وَقَعُ حوافِرِ
تطلَّعْ ! حِصَانٌ راحَ يَغْوِي بِخَيَال !!

نَهْرُ الذَّهَبِ

حَلَمْتُ وَكَانَ الضُّحَى لَمْ يُفَقْ
بَأَنَّ وَسَادَكَ زَنْدِي الْقَلْقُ،

وَفَوْقَ مَحْيَايَ، شَعْرُكَ نَهْرٌ
مِنَ الذَّهَبِ الْمُنْدَرِي الْمَنْدَقُ،

أَهْيَ مَرَّةً، وَمَرَاراً أَضْيَعُ
كَمَا وَرْدَةٌ فِي الْعَبِيرِ الْعَبِقِ.

هُوَ يَنَّاكَ، يَا حَلْمُ، هَذَا الْمَسَاءُ،
سَتَقْسُو، وَبَعْدَ غَدٍ، سَتَرِقُ...

أَنَا مَرَّ أُسْبُوغُ عَمْرِي وَلَمَّا
أَمَرَّ بَدَارَتَهَا أُسْتَرِقُ

إِلَى حُسْنِهَا، قُلْتُ نِي بُلْبَلُ الْأَيْكَ
شَرْدَهُ عِنْدَ لَيْبٍ نَزَقُ،

تَجِيءُ الْفَرَاشَاتُ مُحْلُولِيَاتٍ
إِلَى حَيْفِ شُبَّاكِي الْمَغْلُوقِ،

فَأَغْمِزْهُنَّ: أَمِنْهَا ارْتَزَقُنَّ ؟
بَشِّرْنِي أَنِّي مُرْتَزَقٌ...

فَرَاشَاتُ، أَيُّ ثَمَرٍ بِشَعْرِ
وَلَيْسَتْ تَوَدُّ بِهِ تَحْتَرِقُ ؟

أنا ليتني كنتُ في السُّرب ! كنت
تأثيت عند البياض اليقوق...

وما لامست أنملي ذلك النحر،
كلّا ولا الناهد المنطلق...

ولكنني كنت مُت بعينين،
حَمُر السماء إذا يندلق...

الكلامي على ربّ الكلام

كلامي على ربّ الكلام هَوَى صَعْبُ،
تهَيَّبْتُ ! إِلَّا أَنِّي السِّيفُ لَمْ يَنْبُ.

وَرُبَّ جَمَالٍ رُحَّتْ تَرْسُمُ طَيْفَهُ
تَصْبَاكَ كَالسِّيفِ اسْتَجَابَ لَهُ الضَّرْبُ،

» في احتفال بعلبك بعاشوراء.

وما لُغَةُ الأَقْلَامِ مِنْ لُغَةِ الْقَنَاءِ؟
اثنتان؟ سَأَلْتُ الْحُسَيْنَ: مَا الْجَفْنُ؟ مَا الْهُدْبُ؟

لَيْطَرَبُ لَا إِلَّا لَفَزَّارَةٍ جَرَتْ
كَمَا الْفَرَسُ الدَّهْمَاءُ طَيِّهَا النَّهَبُ،

إِذَا صَهَلَتْ غِبَّ التَّلَاحُمِ رَدَّهَا
أَخُو مِرَّةٍ فِي الدَّوِّ مِنْ وَقَعِهِ رُغْبُ،

يَذُودُ عَنِ الذُّمَّاتِ لَيْسَ يُبَيِّحُهَا،
بِهِ الشَّرْقُ مَدَّ الصَّوْتُ فَالْتَفَتَ الْعَرَبُ.

✱

حَبِثْتُ عَلِيًّا مُذْ حَبِثْتُ شِمَائِلِي،
لَهُ اللَّغْتَانِ: الْقَوْلُ يَشْمَعُ وَالْعَضْبُ،

بِهَذَاكَ يُعْلِيهَا، بِهَذَا يَزِيدُهَا
أَيَكْبُو؟ وَلَكِنَّ الْأَصَائِلَ لَا تَكْبُو!

لَأَشْرَفَ مَنْ قَاسَى، وَأَسْمَحُ مَنْ سَخَى،
تَقُولُ عَلَى رَمْلِ الْبَوَادِي لَهُ حَذَبٌ.

بَلَاغُتُهُ اللَّيْلُ أَسُّ أَرِيكَةٍ
فَكَيْفَ بِمَا أَبْلَى الَّذِي وَثَبَهُ الْوُثْبُ؟



وَهَلْ، يَا تُرَى، هَلْ قَادِرٌ خَنْجَرٌ عَلَى
حَبِيبٍ فِرْنَدٍ؟ بَكْنِي وَابِكِ، يَا حُبَّ!

تَخَيَّلْتُهُمْ، أَهْلَ النَّهْيِ مِنْ أُمِّيَّةٍ،
وَمَنْ إِنْ عَدُوٌّ ضِيمٍ وَاسْتَصْرَحُوا هُبُوءًا،

رَمَوْا عِنْدَ سَمْعِ النَّعْيِ شَهْمَ سِلَاحِهِمْ
وَقَالُوا: «لِهَذَا الشَّهْبِ نُكُستِ الشُّهْبُ!»



تَخَيَّلْتُهُمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ وَقَدْ سَمَا
سَمَاوِيُّهُمْ: «بَلِّغْ!»، فَمَزَّقَتِ الْحُجُبُ،

فقال: « أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَلْيَكُنْ... »
وأكملها. يَا طَيْبَ مَا اكْتَمَلَ الدَّرْبُ !

وكانت إِمَامَاتٌ وكانت مَطَارِجُ،
مَحَطُّ نُزُولِ اللَّهِ أَوْ يَقْرُبُ الْقُرْبُ،

ففي كُلِّ أَرْضٍ بَعْدُ بَيْتٌ مَطْيَبٌ
على اسمِ الْأُولَى في الْكُتُبِ لَيْسَ لَهُمْ شَطْبٌ

وَمَنْ لَا يُحِبُّ الْبَيْتَ، سَيْفٌ عَلَيْهِ
جَمِيلٌ، وَذَاكَ النَّهْجُ كَوْنُهُ عَذْبٌ ؟

كَلَامٌ كَمَا الْأَرْبَابُ فِي طَلِيسَانِهَا،
أَلَا فَلْتَدَاوِلُهُ وَتَرْتَمِشِ الْكُتُبُ !

سائِليني

سائِليني حينَ عَطَّرْتُ السَّلامَ:
كيفَ غَارَ الوردُ واعتَلَّ الحَزَامُ،

وأنا لو رُحْتُ أَسْتَرْضِي الشِّدَا
لانتَشَى لُبَانُ عِطْرَاءَ، يا شَامَ!

ضِفْتُكَ ارْتاحَتَا في خَاطِرِي،
واحتَمَى طَيْرُكَ في الظَّنِّ وِحامِ.

نَقْلَةً فِي الزَّهَرِ أَمْ عِنْدَآلَةٍ
أَنْتِ فِي الصُّخُورِ وَتَصْفِيْقُ يَمَامَ ؟

أَنَا إِنْ أَوْدَعْتُ شِعْرِي سَكْرَةً
كَنتِ أَنْتِ السَّكَبَ أَوْ كَنتِ الْمُدَامَ .



رُدِّ لِي مِنْ صَبَوْتِي، يَا بَرْدَى،
ذَكَرِيَّاتِ زُرْنَ فِي لَيْلَا قَوَامَ،

لَيْلَةَ ارْتِاحِ لَنَا الْحَوْرُ فَلَا
غُصْنٌ إِلَّا شَجِرٌ أَوْ مُسْتَهَامَ،

وَتَهَاوَى الضُّوْءُ إِلَّا نَجْمَةً
سَهَرَتْ تُطْفِئِي أَوَاماً بِأَوَامَ،

سَأَلْتَنِي مِنْ دَلَالٍ قُبْلَةً
يُعَصِّرُ الدَّهْرُ بِهَا كَأْسَ غَرَامَ،

وَارْتَمَتْ يَكْسِيرُ مِنْ هُدْبٍ لَهَا
مُسَهَّبِ الطُّولِ حِيَاءٌ وَاحْتِشَامُ،

وَجِئْتَ صَفْصَافَةً مِنْ حُسْنِهَا
وَعَرَى أَغْصَانَهَا الْخُضْرُ سَقَامُ،

فَحَسَرْتُ الشَّعْرُ عَنْ جَبْهَتِهَا
أَسْأَلُ الْحُسْنَ أَفِي الْأَرْضِ أَقَامُ؟

وَتَأْتِيْتُ أُمًّا لِي خَاطِرِي
قَبْلَ أَنْ يَحْجُبَهَا ضَمُّ الْهَيْامُ،

أَوْ لِيَخُوفِي بِي عَلَى ثَانِيَةٍ
سَوْفَ تَمْضِي فَمَنْى الْعُمْرُ حُطَامُ،

لَمْ تَدْخُلْ لِي شَقْوَةً أَحْيَا بِهَا
وَرَرْتُ يَمَلًا عَيْنِهَا ابْتِسَامُ،

أومأت لي... فامحى كل سنى
مرهق، غير فمٍ عذب الملام،

وإذا قُبِلْتُنا فَرُّ إلى
عالمٍ أبهى وسكنى في منام.

تَقِفُ النُّجْمَةُ عن دورتها
عند تغرين وينهار الظلام.

✱

طوفي بي، ذكرياتي، طَلْقَةً
واغنمي اطياب ذِيَاكَ الوئام،

وآمرحي بين دمشق وجمي
تلكم الصفحة من رفعة هام،

خطها صيداً أباة غصبا
حقهم، والحق غصب أو حمام،

غَالَبُوا السَّيْفَ عَرِيقاً حَذُّهُ
فَانْتَشَى السَّيْفُ وَفِي الْحَدِّ احْتِرَامُ.

هذه « الغوطَّةُ » أوفى تُرْبَةً
بهم أم جبل « النَّبْكِ » القُدَامُ ؟

كَمْ فَتًى بَاتَ فَرَاشاً سَرَجُهُ
نَامَ وَالْكَفُّ عَلَى سَيْرِ اللَّجَامِ !

وَفَتَاةٌ خَلَعَتْ أُسْوَارَهَا
تَشْتَرِي خَلِيّاً لَهَا غَيْرَ كَهَامٍ !

وَشَجَاعٌ لَمْ يَسْعَهُ عُمُرُهُ
رَاحَ يَحْيَا سَعَةَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ !

(١) من كَهَمَ السيفُ أي كَلَّ.

أَسَدُ الثَّوْرَةِ ! وَسُدُّهُمْ ثَرَى
هُوَ مِنْ مَشْرِقِنَا الْأَرْضُ الْحَرَامُ،

طَبَّيْتَهُ مِنْ جَنُوبٍ نَفْحَةً
عَبَقَتْ مِنْ ضَارِبٍ فِي الْأُفُقِ، سَامُ،

جَبَلٌ^(١) يَجْمَعُ فِي أَصْلَابِهِ
دَعَاةَ السَّفْحِ إِلَى عِزِّ السَّنَامِ،

الْتِرَابَاتُ بِهِ أَهْلُ وَفَاً
وَمَحَلُّ يَزُنُ الْحُرَّ الْهُمَامِ،

وَلَهُ أَهْلُونَ إِنْ يَنْتَسِبُوا
يَشْمَخُ الرُّمَحُ وَيَعْتَزُّ الْحُسَامُ.

(١) جبل الدروز.

قُلْ لِّذَاكَ اللَّيْثُ^(١) فِي آجَامِهِ:
وَاحِدٌ نَحْنُ إِذَا الشَّامُ تُضَامُ،

سَائِلِ الْأَبْطَالَ: هَلْ تُنْسَى لَنَا
رِفْقَةُ الْأَخَذِ بِأَغْرَاضِ جِسَامِ؟

وَلَطَى الْحَرَمَانَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ
غَفْوَةِ قَمَرَاءَ فِي تِلْكَ الْخِيَامِ؟

وَالْتِقَاءُ الْمَوْتِ ضُنًّا يِعْلَى
وَأَحْيَايُنَ اشْتِيَاقًا لِاقْتِحَامِ؟

حُرُمَاتٌ بَيْنَنَا أَنْقَى سَنَى
مَنْ ذُرَى الْحَرَمُونَ أَوْ طُهِرَ الْعَمَامُ،

(١) سلطان الاطرش، قائد ثورة ١٩٢٥.

قد سَقِينَا بِالدَّمِ الْمَجْدَ مَعاً
ومعاً خَضْنَا الْمَجَالَاتِ الْكَرَامَ،

وَعَهْدْتُ السِّيفَ فِي سُلْطَانِهِ
نَاصِيعَ الْإِفْرَنْدِ لَمْ يَذُمَّهُ ذَامَ،

شِمَةَ اللَّيْثِ انْشَى مُدْجِراً
صَوْلَةَ الضَّارِي لِيَوْمِ ذِي جَهَامِ.



يَا سَفِينَ الْمَجْدِ، رَدِّي مَا انْطَوَى
وَاقْحَمِي الْأُمُوجَ حِينَ الْبَحْرِ طَامَ.

يُسْلِسُ الدَّهْرُ قِيَاداً لِلَّذِي
يَتَحَدَّاهُ سَهَاماً بِسَهَامِ.

جَدِّدِي مَا وَسَّعَ الْهَظْمُ فَمَا
بَسَى الْهَظْمُ لِبَانِيْنَ اعْتَصَامِ،

وَأَلْفِي الْمَرَّ بِسَطْحِي الْمُنَى
لَيْسَ يُرْضِي النَّسْرَ مَا يُرْضِي الْهَوَامَ،

الْعَبُودِيَّاتُ مِثْلِي عِنْدَنَا:
فِي الْحِمَى غَازٍ وَفِي الْعَقْلِ قَتَامُ،

تِلْكَكُمْ دَالَتْ وَهْذِي لَمْ تَزُلْ
سُوسَةً تَبْرِي فَتَقُتُّ الْعِظَامَ.

أَهْ! مَنْ لِي بَعْدَ أَدْنَى الْإِلَى
سَلْسَلِ الْحُلُمِ وَأَبْهَى مِنْ مَرَامِ؟

تَطْأُ الشَّامُ بِهِ مُخْتَالَفَةً
سَاحَةَ الْمَجْهُولِ أَوْ شَأْوِ الْأَمَامِ،

الْحَضَارَاتُ هُنَا مِنْبُتُهَا
شَدَّتِ الدُّنْيَا إِلَى هَذِي الْأَكَامِ.



ظَمِئَ الشَّرْقُ، فَيَا شَامَ اسْكُبِي
وَامْلَأِي الْكَأْسَ لَهُ حَتَّى الْجَمَامِ !

أَمْلِكِ التَّارِيخُ مِنْ فَضْلَتِهِمْ،
ذَكَرُهُمْ فِي عُرْوَةِ الدَّهْرِ وَسَامِ.

أُمُوتُوا إِنْ ضِيقَتْ بِهِمْ
الْحَقُّوا الدُّنْيَا بِسِتَانِ هِشَامِ.

أَيُّ رَأْيٍ " أَنْتِ مَا نَشَأْتِ بِهِ
تَوَامَ السَّيْفِ لِفَصْلِ وَاحْتِكَامِ !

خَلَبَ الدُّنْيَا بِمَا افْتَنَّ، اهْتَفَى:
كَبَّرَ الْمَرْمِيُّ يَوْمَ الْحَقِّ رَامِ.



(١) فارس الخوري.

تَمْتَمِ الْمَجْدُ وَنَاغِي حُلْمُهُ
فَوْقَ كَفِّكَ إِذِ الْمَجْدُ غُلَامُ،

وَهُوَ حُلْمٌ لَوْ دَرَوْا أَيْنَ انْتَهَى
لَأُتَتْكَ الْأَرْضُ حُجًّا لِمَقَامِ.

يَا طَرِيقًا مِنْ دَمَشْقٍ لَمْ يَزُلْ
لَفَتَةَ الدُّنْيَا وَاجِلَالُ الْعِظَامِ،

بَيْنَ تَحْمِيكَ تَجَلَّى لِلنُّهَى
مَطْلَعُ الْحَقِّ وَتَعْلِيمُ السَّلَامِ،

فَإِذَا جُدِّلَ عَنْ مُهَرَّتِهِ
شَاوُلٌ وَانْكَبَّ فِي ذَاكَ الرُّغَامِ،

رُحْتَ تَلْقَى مَصْرَعُ الْعَقْلِ إِذَا
كَانَ لِلْعَقْلِ مَعَ الْحَقِّ اصْطِدَامِ

✱

شام، يا دارة نيسان، سقت
مرجك الخيرات في الغيث السّجام !

عشت يغني بك شوقي كلما
زرت، والزّورة شوق مستدام،

فكأنني شارب ليس يعي
خوفة القائل: تحذ آخر جام !

وتواسيني، إذا حملته
منك شيئاً، مشرقيات النّسام.

لك قال الحُسن مذ همت به،
ذات صبح، ونضا عنه اللّثام:

من أنا؟ أغنيّة لم تكتمل،
رُصِدت... الا اذا كنت الختام،

وَأَقَاجِي نَمَتْ فِي « دُمَرٍ »
أَوَّلَ الدَّهْرِ وَمَاتَتْ فِي الْفِطَامِ،

فَإِذَا عَادَتْ حَيَاةً طَفِقَتْ،
مِنْ حَنِينٍ، تَجِدُ الدُّنْيَا شَامَ.



أَنَا لَسْتُ الْغَرْدَ الْفَرْدَ، إِذَا
قَالَ طَابَ الْجَرْحُ فِي شَجْوِ الْحَمَامِ.

أَنَا حَسْبِي أَنِّي مِنْ جَبَلٍ
هُوَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْأَرْضِ كَلَامِ.

قَمَمٌ كَالشَّمْسِ فِي قِسْمَتِهَا
تَلِدُ النُّورَ وَتُعْطِيهِ الْأَنَامِ.

فَيْدَةُ مَكَّةَ

غَنِيَتْ مَكَّةَ أَهْلَهَا الصَّيِّدَاءُ،
وَالْعَيْدُ يَمْلَأُ أَضْلَعِي عَيْدًا.

فَرِحُوا، فَلَأَلُّ، تَحْتَ كُلِّ سَمَاءٍ،
بَيْتٌ عَلَى بَيْتِ الْهُدَى زَيْدًا.

وَعَلَى أَسْمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَا
بُنْيَانُهُمْ كَالشَّهْبِ مَمْدُودًا.

يا قارئَ القرآنِ صلِّ لهم،
أهلي، هناك، وطيبِ البیدا.



من راکعٍ ویداهُ آنتا
أنَّ ليس یبقی البابُ مرصوداً.

أنا أینما صلی الأنامُ رأْتُ
عینی السماءَ تفتَّحتُ جوداً.

لو رملَةٌ هتفتُ بمیدعِها
شجواً لکنْتُ لشجوها عُوداً.

ضجَّ الحجيجُ هناكَ فاشتَبِکي
بفمي هنا یا وُزُقُ تغريداً.

وأعزَّ، ربِّي، الناسَ کلَّهُمُ
بیضاً فلا فرَّقْتُ أو سوداً:

لا قفرةٌ إلا وتُخصِّبُها،
إلاّ ويُعطى العِطرُ، لا عوداً.

الأرضُ، ربِّي، وردةٌ وعِدثُ
بك أنت تقطِفُ، فاروِ موعوداً.

وجمالُ وجهك لا يزالُ رجاً
يُرجى، وكُلُّ سِواه مردوداً.

نَسَمَتْ

نَسَمَتْ مِنْ صَوْبِ سَوْرِيَّاءِ الْجَنُوبِ،
قُلْتُ: هَلَّ الْمَشْتَهَى، وَافَى الْحَبِيبُ،

أَشَقَرُّ، أَجْمَلُ مَا شَعَّتِ الشَّمْسُ
أَوْ طَيَّرَتِ الرِّيحُ اللَّعُوبُ،

شَعَرٌ أَغْنَيْتُ قَلْبِي لَهُ،
وَجِبِينَ كَالسَّنَى عَالٍ رَحِيبِ.

أَنَا إِنْ سَأَلْتُ: أَيُّ مَضْنِي؟
قَالَتِ الْقَامَةُ: حُبِّكَ عَجِيبُ!

مَثَلَمَا السَّهْلُ حَبِيبِي يَنْدَرِي...
مَثَلَمَا الْقِمَّةُ يَعْلُو وَيَغِيبُ...

وَبِهِ مِنْ بَرْدَى تَدْفَأُ قُهُ،
وَمِنْ الْحَرْمُونِ إِشْرَاقُ وَطِيبُ.

وَيَحَهُ ذَاتَ تَلَاقِنَا عَلَى
سُنْدُسِ الْغُوطَةِ وَالْدُنْيَا غُرُوبُ،

قَالَ لِي أَشْيَاءُ لَا أَعْرِفُهَا
كَالْعَصَافِيرِ ثُنَائِي وَتَوْؤُوبُ،

هُوَ سَمَّانِي أَنَا أَغْنِيَّةُ
لَيْتَ يَدْرِي أَنَّهُ الْعَوْدُ الطَّرُوبُ.

من بلادِ سكرةٍ قال، لها
ثُرْبَةٌ نايٌّ ونَهْرٌ عندليب.

ويطيب الحُبُّ في تلك الرُّبى
مثلما السيفُ إذا مُسَّتْ يطيب.

سَلِّمْ يَا ذَا السِّيفِ

شَامُ، يَا ذَا السِّيفِ لَمْ يَغِبِ،
يَا كَلَامَ الْمَجْدِ فِي الْكُتُبِ !

قَبْلَكَ التَّارِيخُ فِي ظُلْمَةٍ،
بَعْدَكَ اسْتَوْلَى عَلَى الشُّهُبِ.

سَكْرَةٌ يَوْمُكَ، مَا الْكَأْسُ
بِالْكَأْسِ دُقَّتْ ؟ مَا ابْنَةُ الْعِنَبِ ؟

لي ربيعٌ فيكِ خَبَأْتَهُ
ملءَ دنيا قلبي التَّعَبِ،

يومَ عيناها بساطُ السماء،
والرماحُ السُّودُ في الهُدُبِ،

تلتوي خصرًا فأومي الي
نغمةِ الناي: ألا انتحبي!

أنا في ظلك، يا هُدْبَهَا،
أحسبُ الأنجمَ في لُعبِي.



طابتِ الذكرى، فَمَنْ راجعٌ
بي كما العودُ الى الطَّرَبِ؟

شامٌ، أهْلوكِ إذا هُمَّ على
تُوبِ قلبي على تُوبِ،

أَنَا أَحِبَابِي شِعْرِي لَهُمْ
مِثْلَمَا سِيفِي وَسِيفُ أَبِي.



أَنَا صَوْتِي مِنْكَ، يَا بَرْدِي،
مِثْلَمَا نَبْعُكَ مِنْ سُحْبِي.

تَلَجُّ حَرَمُونَ غَدَانَا مَعاً،
شَامِخاً كَالْعِزِّ فِي الْقُبِّبِ.

وَحَدَّ الدُّنْيَا غَدَاً جِلُّ
لَاعَبٌ بِالرَّيْحِ وَالْحَقْبِ !

مُرِّي

مُرِّي، يا وَاَعِدْأً وَعَدَا،
مَثَلَمَا النِّسْمَةُ مِنْ بَرْدِي،

تَحْمِلُ الْعَمَرَ، تُبَدِّدُهُ،
آهٍ مَا أَطْيَيْتُهُ بَدَا !

رُبَّ أَرْضٍ مِنْ شَدَا وَنَدَى
وَجِرَاحَاتٍ بِقَلْبٍ عَدَى

سَكَتَ يَوْمًا، فَهَلْ سَكَتَ ؟
أَجْمَلُ التَّارِيخِ كَانَ غَدًا !

وَاعِدِي، لَا كُنْتُ مِنْ غَضَبٍ،
أَعْرِفُ الْحُبَّ سَنَى وَهُدَى،

الْهَوَى لَخِظُ شَامِيَةٍ
رَقُّ حَتَّى قَلَّتْهُ نَفْدَا،

هَكَذَا السِّيفُ ! أَلَا انْغَمَدَتْ
ضَرْبَةً وَالسِّيفُ مَا انْغَمَدَا.

وَاعِدِي، الشَّمْسُ لَنَا كُرَّةٌ،
إِنْ يَدٌ تَتَعَبُ فَنَادِ يَدَا...

أَنَا حُبِّي دَمْعَةٌ هَجَرَتْ
إِنْ تُعْذِلِي أَشْعَلْتُ بَرْدِي...

مَسَامِيرُ

لَا مُذْ بِكَيْتُكَ، لَكِنْ قَبْلُ مُذْ سَكَنْتُ
يِرَاعَةً لَكَ، قَلَّ الْهَمُّ فِي الْغُصْنِ،

غَصَصْتُ بِالذَّمْعِ، هَلْ فَرَّتْ بِلَابُنَا
طُرًّا، فَمَا مِنْ شَجِيٍّ بَعْدُ أَوْ لَسِنْ؟

• فِي ذِكْرِ الْاِخْطَلِ الصَّغِيرِ.

أنا الذي قال: يا شِعْرُ، ابكِه وأجذ
من قبل ما كان لا، يا شِعْرُ، لم تكن !



من الينابيع، من عيني صوتك، من
ضوع النفس أضلاع له وجني،

سر الرنين، وهل إلّاك يفضحه ؟
يا ناقر العود منه العود في شجن !

والكون قله رنين الشعر، قله صدى
لكف ربك إذ طنت على الزمن .

ما العمر ؟ ما نحن ؟ ما هذي التي كتبت
قوس الغمام وغنج الزنبق القرن ؟

تسطيات نجوم عن يد فجرت
حبيبة الشيء، وجه الله منه دني .

فَنَحْنُ هَذُونَ، لَمَّا نُبَقَّ فِي سَفَرِ،
عَلَى الرِّينِ، نَجُوماً رُحَّلَ السُّقْنِ.



حَبَبْتُ فِيكَ الْبَلِيلَ الْبَثُّ لَا يَسَاءُ،
لَيْلِ غَنَّى وَعَتَّوَا لِلضُّحَى الْحَشِينِ...

مَنْ لَا يَضِجُ، وَيُوقِ الْآهَ سَيِّدَةً
عَلَى الْكَلَامِ، يُوَاخِرُ الطَّيْرَ فِي الْفَنَنِ،

نَسْجُ التَّنْهَدِ، لَكِنْ لَا يُهْلَهُ
سَهْلٌ، فِي خَيْطِهِ مِنْ شَمَخَةِ الْقُنَنِ،

ضَوْءٌ تُحْصِصُ بِهِ، بَعْضُ الَّذِي احْتَفَظْتُ
بِبَعْضِهِ الشَّمْسُ إِذْ هَلَّتْ عَلَى عَدَنِ.



قَرَأْتُ شِعْرَكَ، مَا أُمِّي تَهْدُهُنِي؟
تَحْكِي حِكَايَةَ بِنْتِ الرِّيحِ وَالْفَطِينِ...

أَحَبُّهَا لَمْ تَزَلْ فِي قَلْبِهِ حَبْرًا
وَلَمْ يَحِنْ أَنْ عَيْنِيهَا... وَلَمْ يَحِنْ...

شَقْرَاءُ شَقْرَاءُ قَلَّتِ الصُّخْرُ مَسْكِنُهَا
قَدْ حَدَّثَتْهُ بِهَا عَصْفُورَةُ الْوَسَنِ،

فَهَبْ، إِغْفَاءَ الْعَيْنَيْنِ تُسْكِرُهُ،
يَقُولُ: لَا تَقْوَى، يَا حُلْمِي، وَلَا تَهْنِ،

إِبْنُ الَّذِي أَنْتَ ! لَا أَبْهَى لِمَبْتَهَجٍ
مِنَ السَّعَادَةِ لَمْ تَخْشَنْ وَلَمْ تَلْنِ.

وَقَالَ: هَلْ هِيَ مَا قَالَتْ مُحَدِّثِي،
وَمَا تَمَایَلُ بَيْنَ السَّرِّ وَالْعَلَنِ؟

خَطُوطُ قَامَتِهَا فِي الْكُتُبِ مَا قُرِئَتْ
لَكِنَّمَا اشْتَعَلَتْ فِي بَالٍ مُفْتَتِنٍ.

فِي ظِلِّ مَجْدُولَتَيْهَا الْعَمُرُ... فِي فَمِهَا
شَطْرَانِ لِلْقَمَرِ الْعَالِي عَلَى الدُّجَنِ.

سَجِينَةُ الصَّخَرِ، هَلْ إِلَّا غَلَاثُلُهَا
سِجْنُ الْجَمَالِ؟... أَلَا، يَا رِيشَتِي، انْسَجِنِي،

لَعَلَّ أَنْ تُلْهِمِينِي كَيْفَ أَبْلُغُهَا،
وَكَيْفَ أَخْطُفُهَا مِنْ قَبْضَةِ الْحُسْنِ،

أَشْجُ صَخْرًا، أُرِي الْأَزْمِيلَ مَا لُعبِي،
أُعِيبِي الصُّعُوبَاتِ، أَغْرِي عُقْدَةَ السَّنَنِ،

حَتَّى إِذَا التَّمَعْتَ غُرًّا مَلَامُحُهَا
هَتَفْتُ أَجْزَعُ: لَا حُطِّمْتُ، يَا وَثْنِي...

مَا أَفْتَنَ الْأَخْذَ مِنْ شَذَقِ الرَّدَى، وَيَدُ
تَهْمٍ بِالْخَلْقِ، تَرْمِي الرُّوحَ فِي الْبَدَنِ !

ولا عَلَيَّ أَقُولُ... أَشَدَّ يَا ظُفْرِي
حَطَّمْ وَخُطَّ الْغَوَى، صُنْهَا وَلَا تَصْنِ...

غامرت ؟ أَكْمِلِ. لك الكاساتُ، أَطْيِئْهَا
ما قِيلَ سُمًّا وَلَمْ تَحْفِلْ وَلَمْ تَزِنْ.

وكان أن نالها ذِيَالِكِ الْفَطْنِ
الْكِسَارُ لِلْجَلَمَدِ، اللَّعَابُ بِالسُّنَنِ!...

عروسُهُ هِيَ وَافَتْ أَمْ قَصِيدَتْهُ؟
فَدَيْتُ أُمِّي نَضَّتْ سِتْرًا وَلَمْ تُبْنِ!



مَنْ شَاعِرٌ؟ مَنْ تَظَلُّ الرِّيحُ دَارَتُهُ
تَرْمِي بِأَبْرَاجِهَا فِي الْأُفُقِ لَمْ تُشْنِ،

حَجَّارُهَا شَرَفٌ! فَاسْمَعْ تَنْفُسَهَا
بِالنَّبْلِ، قُلْتُ: بِهِ قَبْلَ الْجَمَالِ عُنِي.

أَكْبَدَةً مِنْ هُنَا، مِنْ مَقْلَعٍ وَقَعَتْ
عَلَيْهِ رِيًّا غُصُونِ الْأَرْزَةِ اللَّدُنِ .

اللَّهُ نَحْنُ ! أَمَا نَحْيَا لِأُغْنِيَةٍ،
نُشَوِّى بِهَا لَفْتَةً الْعُقْبَانِ فِي الْوُكُنِ ؟

إِنْ شَدَّنَا الْبَحْرُ لَا مَلَانَ بَعْدُ بَنَا
نُفْرِغُهُ مِنْهُ أَنْ آسَكُنْ أَوْ بَنَا آنَسَكِنْ !

جِبَالُنَا هِيَ نَحْنُ : الرِّيحُ تَضْرِبُهَا
تَقْوَى، وَمَا يُعْطِ قِصْفُ الرِّعْدِ تَحْتَرَنِ ،

عِشْنَا هُنَا لَا نُهُمُّ، الْفَقْرُ مَرٌّ بَنَا
وَمَرٌّ مَنْ شَبِرُ أَرْضٍ غَرَّهُ فَنَقَى ...

لِلْفَقْرِ قَلْنَا : اسْتَرْخِ، لِلْمُسْتَبَدِّ : أَشْخِ،
غَدًا عَلَى الرَّمْلِ لَا يَبْقَى سِوَى الدَّمَنِ ،

وَيَأْخُذُ الرَّفْشُ فِي جَمْعٍ ... هُنَا خَوْذٌ ...
هُنَا أَسَامِيٌّ ... فَادْفِنْ، رَفْشُ، وَانْدَفِنْ ...



غَنَيْنَ غَنَيْنَ، يَا كَاسَاتِ، قُلْنَ لَهُ:
مَاتَ لَنَا الْخَمْرُ وَالْعَنْقُودُ فِي حَزْنٍ.

الْحُبُّ حَمَّشَ خَدًّا وَاشْتَكَى وَبَكَى،
وَاسْتَوَحَّشَ الْقَمَرُ الرَّانِي فَلَمْ يَرِنْ.

تُمْرُ بِالْأُذُنِ الْآهَاتُ تَسْأَلُهَُا:
أَنْحَنُ، مِنْ بَعْدِهِ، الْآهَاتُ لِلْأُذُنِ؟

غَنَيْنَ غَنَيْنَ... قُلْنَ: الْمَجْدُ فِي يَتَمُ،
شِعْرٌ بَلَا الْمَجْدِ رَايَاتٌ بَلَا وَطَنٍ.

مَنْ لِلْعُلَى؟ لِلصَّدَارَاتِ الْعُلَى؟ ... أُبْدَأُ
تَبْقَى الْكِرَامَةُ بَيْنَ النَّاسِ فِي غَبْنٍ؟

غَنِينٌ غَنِينٌ... صَوْتِي ضَاع... بَاتَ صَدْيٌ...
كَالْحِصْنِ دُكَّ وَظَلَّتْ هَيْبَةُ الْحِصْنِ !

✱

إِنِّي لِأَجْرَحُ، يَا كَاسَاتُ، يَا دِيمِي،
أَنْ يَشْمَتَ الْمَوْتُ بِالْبَاقِينَ كَالزَّيْنِ !

حَقًّا سَيَغْدُو كَذْمَلُوجٍ بِمِعْصَمِهَا
حَسَنَاءُ لَوْلَاهُ لَمْ تُشْرِقْ وَلَمْ تَكُنْ ؟

عَتَبْتُ، رَبِّي، عَلَيْكَ !... الشُّعْرُ سَيِّدُهُ
مَاتَ ! أَمْرَ الْمَوْتِ لَا يَقْهَرُ وَلَا يَجْنُ !

أَبْسَى عَلَيْهِ أَنَا ثُبُلِي أَصَابِعُهُ
مَنْ عَنْ أَصَابِعِهِ السَّحَرُ انْجَتَى فَجُنِي.

(١) يضرب.

غَنِينَ غَنِينَ... يا كاساتُ، يَذْبَحُكُنَّ
الشَّوْقُ... غَنِينَ... إِنْ الشَّوْقُ مِنْهُ ضُنِّي!

أَلُوذُ بِالْقَبْرِ مَا أَدْرِي أَعْرِفُهُ ؟
أَمَّا مَحْتِ نَقْشَتَيْهِ دَمْعَةُ الْمُرْنِ ؟

أَثُورُ ! آخِذُ بِالصُّلْبَانِ مِنْ غَضَبٍ،
أَرْدُهُنَّ وَأَعْوَى أَسِيفاً وَقُنِّي...

يَمُرُّ فِي خَاطِرِي رَهْطُ الرِّجَالِ مَضُوءَا
وَمَا مَضُوءَا تُرْكَا لِي إِرْثَ مُؤْتَمِنٍ،

لِهُنَالِكَ هُمْ سَيْفٌ، أَنَا لِهِنَا !
أَفِي بِمَجْدٍ وَبِي صَرْحُ الْوَفَاءِ بُنْي.

« رُدِّي جَمَالَكَ »، يَا دُنْيَا، أَقُولُ مَعَ
الْأَبْطَالِ »، « غُرِّي سِوَايَ » الْيَوْمَ وَأَدَّهْنِي !...

(١) الكلام للامام علي.

هَمْ يَذْنُقُونَ، وَهَمِّي النَّارُ أَشْعُلُهَا
مِنْ كِسْرِ عَظْمِي وَإِنْ يَنْفَدَ فَمِنْ كَفَنِي...

ما المالُ؟ ... قَوْلُهُ « لَا » ... وَاللَّهُ الْبَسَهُ
بِهِ غَنِيْتُ وَغَيْرِي بِالثُّرَابِ غَنِي.

المعلم

قرأت كتاب الكون سطرًا محاسنًا سطرًا،
معلم، عُدْ فاكْتُبْهُ أَجْمَلُ مَا يُقْرَأُ !

أصابعك استولت على العقلِ فازدهي
بُباشيرُهُ نثرًا فتركُهِ شِعْرًا...

وتلتفتُ الدنيا وقد علقت على
فمٍ لك قال السحرَ أو أبطل السحرا

لَأَنْتَ يَبَالُ اللَّهُ كُنْتُ، بُعِيدَ مَا
رَمَى الْأَرْضَ عَنْ كَفِّ وَقَالَ: اشْتَهِيَ أَمْرًا !

فَحَارَتْ: كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ يُلْقِيهَا،
وَلَا يَتَغَاوَى الْجَهْلُ يَرْمَقُهَا شَزْرًا،

فَقَالَ: أَنْطَقِي، إِمَّا تَلْعَثُ أَقْلَقْتُ
بِيَالِي أَفَازِيرٌ وَأَعْمِدَةٌ سَكْرَى،

مِنْ الطَّرْفِ اللَّائِي سَأَخْلُقُ، يَوْمًا
سَأُرْتَاحُ، وَالْأَفْكَارُ تَغْمُرُنِي تَثْرَى...

أَمْرُكَ فُكِّي عُقْدَةَ الصَّمْتِ وَابْسِمِي
لِوَجْهِي، لَقَفَرُ أَنْتِ مُبْتَلَعٌ قَفْرًا !...

عَلَى أَنَّهَا الْأَرْضُ اسْتَمَرَّتْ عِيَّةً،
فَمَدَّ إِلَيْهَا الْحَمْسَ يَرْسُمُهَا ثَغْرًا،

ورأساً، وبعضاً من خيال أميرة،
لها يومَ عدِّ الحُسنِ يُؤبه أو يُدرى،

فما هي أن ضاءت وغمى جمالها
لها وروى، حتى أفاقت كمن ذكرى،

وشالت برأسٍ صوب عينيه قلتها
كما ستكون الكأسُ إذ تمتلي خمرًا،

ولامس أذن الله هاتِف قلبها:
— بلى، ربِّ، هاني أشتهي القلمَ الحرَّ،

ألا اخلقه، لا كالناس، هم تربة رضى
تفي، وهو غراسٌ كما يدك الحضرا،

عليّ جبين، حازمُ الملح، أبلج،
يُمَرُّ به نسرٌ فيعرفه نَسرا.

تَصَوَّرْتُهُ وَالرَّوَضَ. مَا بَيْنَ زَهْرِهِ
وَضِحْكَةِ عَيْنٍ؟ إِنَّهُ الْأَمَلُ افْتَرَا...

تَصَوَّرْتُهُ وَالرَّيْحَ. مَا بَيْنَ عَصْفِهَا
وَقَطْعٍ بِمَعْنَى؟ إِنَّهُ سَلَكُكَ الدَّرَا...

تَصَوَّرْتُهُ وَالشَّمْسَ. مَا بَيْنَ بَزْغِهَا
وَهَشَّةٍ وَجْهِ؟ إِنَّهَا الصَّلَاةُ الْكُبْرَى.



مُعَلِّمٌ، لَمْ الزَّفَرَقَاتِ وَحُطَّهَا
عَلَى فَمِ طِفْلِ شَيْتَةِ الثَّقَلِ وَالْكَرَا.

بِمَلَأَ جَنَاحَ لَمْ يَطِرْ، إِنَّمَا رَنَا
إِلَيْكَ، فَأَعَدَدْتَ انْطِلَاقَهُ الْحَرَّى،

وَشِئْتَ لَهُ أَنْ يَسْتَعِيرَ شَمُوخَهُ
مِنَ الْأَرَزِ غَنَاءَ الزَّمَانِ إِذَا مَرَّ،

وَشِئْتُ لَهُ أَنْ يَجِبَةَ السِّيفَ بِأَلَمِهِ
فِيدْرِكُ أَنْ الْبَالُ يَفْرِي وَلَا يُفْرِي.

✱

مَنْ الْعُلَمُونَا ؟ مَنْ يَكُونُونَ عَزْمَةً
وَقَرَعًا لِبَابِ الْمُسْتَحِيلِ خَفَى السَّرَّاءُ ؟

رِيَّاحُ ! بَلَى، هُمْ كَالرِّيَّاحِ مَهَابَةٌ،
عَلَى أَوَجِّهِ الْأُتْحَاذِ قَدْ حُفِرُوا حَفَرًا،

وَتُعْطِيكَ عَيْنٌ مِنْهُمْ قَلَّتْهَا يَدًا،
وَتُعْطِيكَ تُعْطِي بِسْمَةٍ مَا التَّوْتُ صَفْرًا،

بِهَا مِنْ مَحْيَا الْوَالِدِ الصَّعْبِ لَهْفَةً
تُهِيبُ أَنْ أَقْطِفُنِي وَلَا قُطِفَكَ الزُّهْرَا !

وَيُعْطِيكَ تُطَوِّقُ حَامِلُ الْعِلْمِ مَا انْتَهَى،
وَمُبْتَدِعُ الْأَفْكَارِ فَجَّرَهَا غَمْرًا...

وتعطيك، إن تُشَلِّحَ على اللوح، أنمل
وتكتب ما الدنيا... وتكتب ما الأخرى...

خواطِرُ قُلُوبِ الْخُصُورِ ثَمَائِلَتْ،
وَقُلُوبُنَّ صَارَ الْحُسْنُ مُنَحِبًا قَسْرًا.



سَأَلْتُ الْأُولَى خَلْفَ الْقُرَى، فَوْقَ، عَلَمًا
تَقِيهِمْ نَدَاهَا، السَّنْدِيَانَةُ، وَالْحَرَا:

تُرَى ثَانَوِيُونَ الَّذِينَ احْتَضَتْهُمْ؟
تَعَالَوْا نَقُصِّ الْمَجْدَ، نَسْتَلِفِ الدَّهْرَا!

أَفَقَ مِنْ كَرَى، زَيْنُونَ صِيدَا، قُلِ اسْمَهُ
مُتَلَمِّذَكَ الْمُضْفِي عَلَى رُومَةٍ قَدْرًا!

هُمْ شَيْشَرُونَ، عِنْدَهُمْ، رَبُّ قَوْلِهِمْ
وَعِنْدَكَ، طِفْلٌ يَحْفَظُ اللَّفْظَةَ الْبِكْرَا.

أَفِقْ مِنْ كَرَى، يُبَيِّنُوسُ، أَرْمِهِمْ بِهِ
فَمَا ذَهَبِيًّا أَنْتَ نَشَأْتُهُ صَقْرًا،

فَبَاتَ إِذَا مَا وَزَعَ اللَّهُ طَاوَلَتْ
تَجَوُّعٌ إِلَى فِيهِ الْعَصَافِيرُ أَوْ تُعْرَى...

أَفِقْ مِنْ كَرَى، مَكْسِيمَ صَوْرٍ، وَرَدُّنَا
إِلَى مَرْكُورِيلِ السِّيفِ فَتَّتَهُ فِكْرًا،

فَلَمْ تَبَقْ أَرْضٌ لَمْ تَهُمَّ بِخَوَاطِرٍ
لَهُ، قَلَّتْهَا الْإِنْجِيلُ أَوْ شِعْرَهُ نَشْرًا...

أَفِقْ وَآغَوَ مِنْهَا، أَنْطَبَاطُورُ، هَتَفَةً
لَكَاتُونَ طَارَتْ فَهِيَ هَتَفْتُنَا الْحَمْرَا:

«لَأَمَّا تَمَّتْ حُرِّيَّتِي لَا أَعْشُ أَنَا»
وَفِي الصَّدْرِ شَكَّ السِّيفِ شَرَفَهُ صَدْرًا.

✱

معي من نشيد المجد، قيثارتي، معي...
نُمرُ بدار العمر حيث قضى شطرا،

ونسَمِعُ مَنْ غَنَّتْهُ: « طَبِّ، يَا حَمَامُ، طَبِّ
وهوَمُ لَمَنْ مِنْهُمْ سَيَجْتَرِعُ الْمُرَا... »

هُمُ لَهُمُ، أَوَاهِ ! أَنْ يُذِيهِمْ
ضَنَى، وَهُوَ أَنَا لَتَهْدُرُهُ هَدْرًا...

حَمَامُ، هُمُ اكْذُوبُهُمْ، هُوَ اصْدُقْهُ، إِنَّهُ
سَيَعْرِفُ أَنْ يَشْقَى، سَيَعْرِفُ أَنْ يُغْرَى...

حَمَامُ، وَثَلَّثَهُ لَهُ الدَّمْعَ طَيِّباً
كَمَا ابْنَةُ كَرَمٍ فِي الْجِبَالِ اكْتَوَتْ جَمْرًا،

فَمَنْ غَيْرُهُ يَدْرِي بَأْنَ حَيَاتِهِ
يَنَابِيعُ حَرَمَانَ وَيَقْصِدُهَا يَمْرًا

فَأَمَّا قَسَتْ بِالنَّاسِ دَاوَرَهَا يَدًا
وَأَمَّا بَدَتْ أَقْسَى بِهِ التَّمَسَّ الْعُذْرَا.

وَيَا طَيْرُ، يَا طَيْرَ الْحَمَامِ، افْتِنِ بِهِمْ
بَيْنِي الرُّضَى، أَمَّا بِهِ فَاغْتِنِ الْعَصْرَا !

هَلِ الْعَصْرُ إِلَّا مَا اسْتَطَارَ مَعْلَمُ
مِنَ الشَّرْرِ النَّزَالِ فِي الْهِمَمِ النَّصْرَا ؟

إِذَا الْقَدَرُ الْأَعْمَى تَطَاوَلَ رَدُّهُ
وَمِنْ خَلْفِهِ النَّشْءُ الْأَيْ مَشَى نَهْرَا !

وَتَمْضِي تُغْنِي، نَاسَ قِنْدِيلُهَا وَلَمْ
تَزَلْ تَشْتَرِي مَجْدًا وَتَرْفُضُهُ خُسْرَا،

تُغْنِي وَقَدْ طَارَ الْحَمَامُ وَلَمْ يُعَدِّ
لِقَصَّتْهَا إِلَّا تَأَوُّهُهَا جَهْرَا.

الْغَنِيَّةُ الْحَجَرُ

كالهند سرُّ الهندِ أنتَ، وكالتُّهي
أوتنتهي؟ وإليك كان المُتَّهي !

ماذا ! وتنهزم السيوفُ كسيرةُ
ما نحن، تسأل، ما الحَضِيضُ مِنَ السُّهي؟

* في يوم نهر.

أَدَبْتُهَا تِلْكَ السِّوْفَ، فَصُنْتُهَا
عَمَّا تَبَذَّلَ، يَوْمَ يَصْطَرِّغُ الْبَهَا.

كَالْهِنْدِ أَنْتَ ! لَقَدْ جَمَعْتَ كِتَابَهَا،
سِفْرًا سِقْرًا لَا أَسْتُذِلُّ وَلَا صَهَا،

عَالٍ، وَمِ الثَّلَجِ الْبَتُولِ يَبَاضُهُ
أَوْ مِ الْحَمَالَايَا وَهَاتِيكَ الصُّهُيَّ.

✱

أَكْمَلْتُهَا النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ^(١) لَمْ تَكُنْ
ظِلًّا وَلَوْ لِلشَّمْسِ ثَبْرًا مِنْ كَهَى^(٢).

(١) أَصِيبُ بِجَرَحٍ.

(٢) الْأَبْرَاجُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ.

(٣) الْمَهَاتِمَا.

(٤) كَلَفَ.

أَوْدَعَتْ مَا فِي كُلِّ بَالٍ مِنْ هَوًى
وَبِكُلِّ مَا يُرْجَى، جُبِلَتْ، وَيُكْتَهَى^(١).

وَحَدَّ كَمَا رُئِيَ الْمَلَاكُ رُؤًى، وَمِنْ
طِيبِ الْبَسَاطَةِ أَيْنَ سُلْطَانُ الدَّهَى؟



ضُرِبَتْ عَلَى الشُّعْفِ^(٢) الْعِمَالِقُ حِكْمَةً
هَامَتْ، كَمَا الدُّنْيَا، تَسَائِلُ مَنْ لَهَا؟

بِالرَّعْدِ لَازَتْ، بِالرِّيحِ، وَبِالصَّبَا
مِنْ أَدْهَرٍ، وَتَشَبَّثَتْ بِالْمُزْدَهَى،

حَتَّى إِذَا بَصُرْتُ بِصَدْرِكَ أَفِيحاً
وَلَجَجْتُهِ فِرْدَوْساً لَهَا... أَوْ شَبَّهَهَا...

(١) يَجَلُّ.

(٢) الْقَمَم.

أَفَأَنْتَ مِنْ لُبَّانٍ نَسَجَ غَمَامَةٌ
أَوْ صَوْتُهَا، تِلْكَ الْمَكْوِكَةُ اللَّهَِا ؟

أَوْ سَكْرَةُ الْأَزْمِيلِ نُزِّلَ مُفْرَدًا،
فِي بَعْلَبُكَ، عَلَى يَدَيِّ رَبِّ سَهَا ؟

أَنَا بَعْلَبُكَ لِي... وَلِي هِنْدُ الْمَلَا
أَغْرُودَتَا بِالِ إِذَا الْوَتَرُ اشْتَهَى:

أُغْنِيَةُ الْحَجَرِ اسْتَفَاقَ إِلَى الْعَلَى،
أُغْنِيَةُ الشَّعْبِ اسْتَقَامَ فَنَزَّهَا،

تِلْكَ السُّمُوُّ وَهَذِهِ الرُّفُقُ اعْتَبِرْ،
يَا خَاطِرِي، وَرِدِ الْجَمَالَ تَالَّهَا !

هَنَا خَصَرْنَا الصَّخَرَ أَعْمَدَةً، عَلَى
إِفْرِيزِهَا انْتَحَرَ الزَّمَانُ مُوَلَّهَا،

وَهَنَّاكَ قَدُّوا النَّفْسَ كَوْنًا مُفْعَمًا
بِاللَّهِ أَرْوَعَ مَا أَبَاحَ وَمَا نَهَى.

هَئِنَّا الضِّيَاءُ مَجْمَدًا وَمُقَدَّمًا
لِلشَّمْسِ إِنْ شَحَّتْ، لِقَلْبِكَ إِنْ وَهَى،

يُعْطِي وَيَرْفَعُ، مَا يَدُّ إِنْ قَلَّدَتْ
أُخْتًا لَهَا؟ طَابَ التَّفَرُّدُ مَجْبَهَا!

وَلَأَعْمَدٌ يَنْهَضُنْ، يَحْمِلُنَ السَّمَاءَ
بِدَعُ الْجَهَالَةِ هُنَّ أَوْ بِدَعُ النَّهْيِ.

وَجَنُونَ رَبُّكَ فَوْقَ عَقْلِ عِبَادِهِ
إِلَّا الْأَوَّلَى جَعَلُوا الْحِجَارَةَ نُبَّهَا...

وَهَنَّاكَ أَجْنَحَةُ السَّلَامِ تَخْطُهَا
فِي الْأُنْفِقِ أَقْلَامٌ تَرْفَعُ عَنْ جَهَا^(١)

(١) خراب.

من بعضها كان البياض، وقبلها
والبعد حاضرهما تشعع أوجها...

قالت صفاء القلب، وسوسة الجلى،
لحظ الأميمات التواظير من رها،

وكانما الأنهار من بشرى ومن
صوت ومن موت... هي الزمن التهى !

✱

أغنيان ! الهند، سيناء السلام،
وبعلبك، لقي الجمال مجهجها !

هاتيك قد خسرت يديك، وهذه
أنتى لها إلهام أعمى أكمها ؟

مَنْ قُلِّدَ الْبَسَدَ الْكَبِيرَ كَرَاصِفِ
الْحُسْنِ الْكَبِيرِ ! كِلَاهُمَا لَنْ يُكْنَهَا !



يَا هَائِمًا خَلَلَ الْوَجُودَ، أَلَا اشْتَعِلَ
فِي الْمُعَوزِينَ كَمَا الزَّهَوْرُ، كَمَا الزُّهَى.

إِحْدَى تَعَوُّدُ الْأَغْنِيَا تُكَمَا الْهَوَى
فِي الْقَلْبِ إِنْ صَدَّرَ إِلَى صَدْرِ شَهَا.

كَالْهِنْدِ سُرُّ الْهِنْدِ أَنْتَ، وَكَالْتُهُى
أَوْتَنْتُهُى ؟ وَإِلَيْكَ كَانَ الْمَتَهُى !

ملكوت لك في العرش

ما الموت ؟ شمخه رأس منك تُفتقد
واسلم بياقة شعر، عطرها الأبد !

مهابة الأرز، بنت الفارسي، أنا
نبيك، فلتغوا السنة العمد.

* انشدت في يومي خليل مطران يعلبك.

وَمَنْ تُرى قَالَ: لَيْسَتْ سَبْعَةٌ ؟ أَنْذَا
عَيْنِي إِلَيْكَ، أَلَا فَلْيَكْمُلِ الْعَدَدُ.

سِوَاكَ فِي الشَّعْرِ فَلْتَدْمَعْ عَلَيْهِ رُبِّي،
وَأَنْتِ فَلْتَجْرَحِ الْعَيْمَاتُ وَالْجَلْدُ.

مُلْكُ لَكَ الْعَصْرُ، ذَاكَ الْقَصْرُ تَرَصُّفُهُ
ذِكْرَاكَ. رَبَّةَ أَمْسٍ ضَجَّ فِيهِ غَدُ.

كَأَنَّنِي بِكَ، يَوْمَ انْزَحَتْ عَنْ جَبَلٍ،
تَنْزَاخُ رَدَّتْكَ صَوْبَ الْخَالِدِينَ يَدُ !

وَالْخَالِدُونَ هُمُ الْبُدَّاعُ، مِنْ بَعْدُوا،
حَتَّى إِذَا لَحِقَتْ دُنْيَا بِهِمْ بَعْدُوا.

عَانَيْتَ، عَانَيْتَهَا الْجُلَى، كَمَا لُعْبُ
لِلْكَسْرِ قَدْ أَمْلَوْهَا أَنْتَ الْوَلَدُ.

وَأَن رُّحْتَ تَغْنِيهَا سَمَوْتُ بِهَا،
كَذَا يَمَسُّ الْخَرِيفَ الطَّائِرُ الْعَرِدُ.

لَأَنْتِ وَالْفَكْرُ هُمُ اللَّهُ هُمُكُمَا،
وَالْآخَرُونَ بِيَالِ اللَّهِ مَا وَرَدُوا...

مَاذَا تَرَكْتَ خِلا الْأَخْلَاقِ ؟ لَوْ جَدْتُ
يُحْكِي لِقَالٍ: « السَّنَى فِي حُفْرَتِي بَدَدَ ! »

دِيوَانُ شَعْرٍ، تُرَاهَا الْحِكْمَةُ انْحَبَسَتْ
فِي دَفْتَيْنِ، كَمَا فِي الْغَيْمَةِ الْبَرْدُ ؟

هُنَا الْمَسَاءُ وَنِيْرُونِيَّةٌ، وَهِنَا
فَتَاتُهُ الْجِبِلُّ الْمَحْلُولُ الْخَرْدُ.

أُخِثُ الَّتِي بِالضَّنَى وَالْآهَةِ اتَشَحْتُ،
وَأَسْبَلْتُ أَشْقَرًا بِالرَّيْحِ يَنْعَقِدُ.

لَهْفِي ! أبوها قضى، مَنْ كان يكفُلها،
يُتَمُّ الحرائر جُرْحُ ليس يَنْضِيد !

لا هذه سَكَنَتْ، لا تِلْكَمُ انْغَمَدَتْ
إِلَّا إِذَا مَنْ غَزَوْا أَقْدَاسَهَا انْغَمَدُوا.

ومرَّةً هُنا الآبَادُ عاصِفَةٌ
بالنفس، قَلَّتْ بسجنٍ قُطْعَ الزُّرْدِ.

وَمَنْ يَعِشُ فَوْقَ، عَيْشَ الصَّقْرِ، وَكُنْتُهُ
على الشَّعَافَاتِ، لا تَسْتَغْوِهِ المُلْدُ.

القولُ لا قال... قال الفعلُ. فاحترزي
يا قامةَ الرمح، أَنْتِ الطَّعْنُ لا المِيدُ.

غَالِيَتْ؟ ... ما ريشةٌ في الكَفِّ مُشْجِرَةٌ؟
ما جِلْمٌ جُبَّتِيرِي السِّنَى فِرْدُ؟

أَيُّ أَدَاثِكَ ؟ لَوْ تُخَيَّرْتُ قُلْتُ : « بِهِ
كُتِبَتْ ، ذَاكَ الْعَمُودُ الصَّامِدُ الصَّمَدُ ،

غَطَطْتَهُ فِي مِدَادٍ أَنْتَ عَاصِرُهُ
مِ الشَّمْسِ أَوْ مِ الرِّيحِ الْهَيْفِ تَنْقُدُ ! »

مَنْ كَانَ عُوفِيٍّ لَوْ أَنْتَ انْضَيْتَ ؟ أَلَا
أَهْبَ بَأْنًا قُدَامِي الْفَتْحِ وَالْجُدُدِ .

وَحَدَّثُمَا أَنْتَ فِي الْآسَادِ بَاكِئَةً
وَبِعَلْبِكَ ... كَلَا فَتَيْكُمَا أُسْدُ !

تَأْخِذًا ، شَطْرُ بَيْتٍ وَانْهِيَارُ عُلَى
مِنْ بَابِ بَاخْسٍ كَادَتْ بِالرُّدَى تَقْدُ ،

تَقُولُ : « مَنْ يَسْمُ بِي ، حَتَّى لِيَرْجِعُنِي
إِلَيَّ ، يَشْهَقُ لَهُ مِنْ ضَوْئِي الْجَمَدُ ،

روحٌ له أنا ذي، وليشَقَّ فهو أنا،
وبعدُ فليَفْتَرِقْ عن روحه الجسدُ».

وقبلَ أن أُرْجِعْتُ، كانت يراعُكُ
افتتت تلاعبُ من علَّوا ومن عَضَدُوا.

وأعنتُ لَفْظَةً حتَّى لماد لها
مادَّ وقال: «انزلي في النَّهر نبترد

فان وقعتِ على زندي وجعتُ أنا
للحسن أطلبه في حَيْثُما أجد!

أكون عدتُ هبَاءاتٍ فيخلُقني
تخلُقاً، كأنِّي مما لا أنا أَرِد.

أبهى من البدء رَدُّ البدءِ ملعبةً،
فالعَبُّ بكونٍ... ودَعُهُمْ يُفْنِيهِمْ حَسَدٌ...»

* * *

وَعَنْدَلْتِ قَافِيَاتُ مَنْكَ، فَانْتَبَهَتْ
حَسَنَاءُ نَقْشُ عَلِيٍّ، فِي عُنُقِهَا صَيِّدُ.

— أَتَنْ مَنْ ؟ قُلْنَ: « لَا تُجَاهِلِي اذْكُرِي،
أَمَّا لَأَنَّكَ زِلْفَاءُ لَنَا سَجَدُوا ؟ »



خَلِيلُ، خِلْتُ الْعَظِيمَ الْبَعْدُ مُتَكِيٌّ
فِي مَقْلَعِ الْعِزِّ، مَنْ لَمْ يَجْحَكْ أَحَدُ،

يَقُولُ: « فَوْقِي فَلْتُنْقَشْ، فَلَا حَجَرُ
سِوَايَ أَخْلَقُ بِالْمَجْدِ الَّذِي فَقَدُوا ! »



صَدِيقُ لَفْتَةٍ عُمْرٍ، قَدْ وَعَدْتُكَ، لَا
أَخْلَفْتُ، لَا يُخْلَفُ الْإِبْطَالُ إِنْ وَعَدُوا.

أَلْمَعْتُ... فَاغْذِرْ... فَمَا إِلَّا عَلَى قَلَمِي
اصْطَكَّتْ سِوْفٌ وَلَا إِلَّا بِي الْحُشْدُ.

مُعَلِّمِي أَنْتَ فِي الْحُرِّيَّتَيْنِ: هَوَى
الْعُلَى، وَعَصْفِي بِالشُّوَارِ إِنْ بَرُدُوا،

هَلْ كَذَّبُوا؟ ... قَالَ لِبْنَانُ أَنَا... وَأَنَا
إِمَّا وَجِدْتُ فَبِالْأَحْرَارِ أَنْوَجِدُ!

دَاوِدُ مَرِي

دَاوِدُ شَعَرِي الْيَوْمَ، هَا شَعَرِي كَثِيبُ،
غُصْنٌ شُرَّدَ عَنْهُ الْعِنْدَلِيبُ.

فِي هَمُومِي كَانَ أَنْ تُعَرَى بِهِ،
عُذُّ يَعُدُّ لِلْأَرْجِ الذَّاكِي هُبُوبُ.

« صبيحة بكينا انطون قازان.

لم تكن ریح الشمال اقتلعت،
لا الدُّجى يلتف، لا الهمَّ ينوب،

كنت ما لم يُذَرَّ بالحسِّ وبالعقلِ :
روح الروح، تُحيي وتذوب !

زُرْتُهَا الأرض ؟ ... أَشْكُ ... اختلَّ معي
زُرْتُ بَيْتَ الشَّعْرِ، كالْبَالِ الحبيب ...

ما غروب الشمسِ يُعطي فكرةً
عندك، بل نكهةً أَنْ تَمَّ غروبُ

في المَلَاكِ اتَّفَقُوا أَنْ مَفْرَدٌ
شخصه، لا مثله في الخمرِ كوب.

أُتْرَى من مِربِه أنت ؟ أُجِبْ.
أَوْجَعُ الأَجْرَاحِ أَنْ لَسْتَ تُجِيبُ !

كُلُّ شَيْءٍ هُوَ فِي الْكَوْنِ، سِوَى
اللَّهِ، مَنْ نَاجَتْ وَلَمْ تَذَرِ الْقُلُوبُ !

هُوَ فِي الْمَابِعَدِ، فِي أُغْنِيَةٍ
رَبَّمَا تَسْكُنُهَا أَنْتَ تَطْيِبُ.

أَنَا إِنْ تَجَمَّحَ بَعُودِي نِعْمَةً
كَنتَ أَنْتَ الْأَمْرَ بِالْعُودِ تُهَيِّبُ.

نِصْفُ شِعْرِي كَانَ كَيْ تَقْرَاهُ،
لَا تُبَاعَدُ أَوْ هُوَ الْقَفَرُ الْجَدِيدُ.

أَمْسِ، مُدُّ دُكَّتِ قَرَى مِنْ أَرْضِنَا،
زُرْتُ بِأَلِي مَوْجَعاً فِيهِ اللَّهْيَبُ،

فَاسْتَبَدَّتْ بِي ثَوَانٍ كُنَّ لِي
دَقُّ بَابٍ، قُلَّتْنِي الْخَاطِي يَتُوبُ !

ذاكِرٌ لَيْلَةَ نَادِينَا عَلَى
رُؤْيَتِي لِلْكَوْنِ وَالْقَوْلِ صَخُوبٌ ؟

رُحْتُ تَعْلِينِي، حَتَّى لَأَنَا
خَمْرَةٌ ضَجَّتْ بِهَا الْكَأْسُ السَّكُوبُ،

وُجُهَاْتُ الْحَقَّ تَهْوَى لِفَتْيِي،
قُلْتُ وَجْهَ اللَّهِ تَهْوَاهِ الدَّرُوبُ !

ذَاكِرٌ قَوْلَكَ بِي مُتَصَرًّا
لِجُنُوبٍ أَنَّهُ ثُوبِي الْقَشِيبُ ؟

أَلْبَسُ الْعِزَّ إِذَا أَلْبَسَهُ
« آتِنَا » مِنِّي كَمَا مِنْهَا الشُّحُوبُ،

كَانَ هَمِّي نَبَشَ مَا فِي أَرْضِهِ
مِنْ ذُرَى رَاحَتِ عَنِ اللَّهِ تَنُوبُ،

نقرت صيدونُ من بعدي أنا
وترأ قيثارُه الكونُ المهيبُ،

وتغاوت صورُ، لا مملكةُ
بعدُ أو قبلُ تُدانيها ثلُوبُ،

لا علي السيفِ انبتُ، لكنْ علي
قولةٍ أنَّ ليس في صورَ كَذوبُ،

كَلِمَةٌ تُعْطَى تَفِي، صِرنا بها
شُرَكَاءَ الأرضِ نَجِي ونجوبُ !

وإذا مريمُ قانا ارتعشت
أنَّ أجِبْ، لا في غدٍ، يا مستجيبُ،

وألحَّت نبرةٌ في صوتها
بعضُها لُبنانُ أو شيءٌ قريبُ...

قال: يا ساعة، فِرِّي من غدٍ
هكذا يُطَلَّبُ الوجهُ العَذوبُ^(١)

يَوْمَهَا، فوق ربِّي من عندنا،
ظَهَرَ اللهُ وما عادَ يَغيبُ!

الجُنُوبُ؟ ... اشمِخْ به رأساً رَضِيَّ،
كان لِبْنانُ إذا كانَ الجُنُوبُ.

كُلُّ هذا قَلَنَه فيَّ أنا؟
كُلُّ هذا أَنْتَ إِنْ حَقَّ النَصيبُ.

ضِيعْتُ في ثُبُلِكَ من تِيهٍ كما
في الذي قَبْلَهُ ضاعَ الضَّليْبُ!

(١) الذي ليس بينه وبين السماء ستر.

إني وذكراك، الكلامُ اليوم: ما
تُبغِه يُتَع وكالسيفِ يطيبُ.

شئتني أبقى الضمير، اشدُّ يدي
أو أدمي وتهاداني الخطوبُ.

عشتُ فُرقانَ الهدى، في حيثما
كنتَ كان الحقُّ، ما اليومُ العصيبُ؟...

أالصعوباتُ العلى أنتَ لها،
تضربُ الضربةَ وثقى لا تخيبُ،

بالشبا تهجمُ؟ بالصرخة؟ لا
إنما باللينِ مرمأه غريبُ.

مرّةً تبسمُ، تُغري المعتدي،
وتهزُّ الرأسَ، أخرى، فُريبُ.

لَأَنْذَأُ بِالْحَبِّ تَدْرِي أَنَّهُ
وَحَدَّهُ الْقُوَّةُ إِنْ صَابَ الْمُصِيبُ.

يَا شَقِيقَ الدِّيمِ انْهَالَتْ عَلَى
جَبَلٍ، فَهُوَ بِمَا تَهْوَى خَصِيبُ،

خَارَجَ الْمُمَكِنِ خُلُقًا وَرَضَى،
كَنتَ، حَتَّى لَيْمَنَّاكَ الْوَجُوبُ.

لَا مِنْ الْأَرْضِ وَلَا مِنْ نَبْتِهَا
أَنْتَ. أَنْتَ الْمَعْتَلَى وَهِيَ الرُّسُوبُ.

مَرَّةً عَرَّجْتَ. قَالُوا: رَابَهَا
أَنْ رَأَتْ مَنْ هُوَ لِلْبَالِ رَبِيبُ،

أَعِدِ الْكَرَّةَ، زُرْهَا الْيَوْمَ، زُرْ.
نُسْكِرِ الشُّعْرَ أَنَا وَالْعَنْدَلِيبُ.

عَمَلَقُ مِصْرَ

شِعْرٌ وَلَا أَنْتَ؟ ... فِي بُرْدِي انْضَى أَلْمُ
عَمَلَقَ مِصْرَ، تَطْلُعُ، وَانْحَى هَرْمُ.

رَاثِ أَنَا الْيَوْمَ؟ ... دَعْنِي مِنْ رِثَاءٍ وَبُكَاءٍ،
نَارٌ بِيَالِي وَفَاءٌ كُنْتُ أَعْتَزُّمُ

* يوم احتفلت مصر بعزير اباطه.

قالوكْ تُكْمَلْ خَطًّا؟... ويجهم خطلوا،
في غفلة الوحي، أَنْتِ الطُّورُ وَالْكَلِمُ.

الشَّعْرُ بِعَدِكَ صَارَ الشَّعْرَ، رَدَّدَهُ
مَنْ رَأْسُهُ فَوْقَ، مَنْ لَمْ يُغْرِهِ غُفْمُ.

إِثْنَانُ أَهْوَاهِمَا: نُبْلُ بِشَعْرِكَ لَمْ
يَتَّعَبْ، وَلِبْنَانُ مِنْهُ تَتَّعَبُ الْأُمَمُ.

سُكْرِي بِشَوْقِي أَوْ آتِي غَيْرُ ذِي شِيمٍ
وَقَوْلُ شَوْقِي بِزَحْلٍ «السُّكْرُ وَالشِّيمُ،

(١) إشارة الى قول شوقي:

إِنْ تُكْرِمِي، يَا زَحْلَ، شَعْرِي إِنْسِي
أَنْكَرْتُ كُلَّ قَصِيدَةِ الْإَكِ،
أَنْتِ الْخِيَالُ بَدِيعُهُ وَغَرِيبُهُ
اللَّهُ صَاغِكِ وَالزَّمَنُ رَوَاكِ !

هنا الهوى شَدَّ بين الأمتين، هنا
في الشرق، ما نَسَمَت قبل الهوى نَسَمُ،

لكنَّ شِعْرَكَ أَنْتَ، الشَّعْرُ يَعْبُدُهُ
معِي، وَنَغْوَى أَنَا وَاللَّيْلُ وَالتُّجْمُ...

ما أَمْرُوكَ؟ ... إِيخَالُ التَّاجِ ضَلَّلَهُمْ
وَجَاءَ جِبْهَتَكَ الشَّمَاءُ يَسْتَلِمُ.

✱

حُمِّلْتُ غَصْنًا مِنَ الْأَرْزِ، اسْتَظَلَّ بِهِ
أَوْ رَعْمَسِيْسُ أَوْ الْوَقَادُ مِنْ عَظُمُوا

أَوْ مَنْ نَمَاهُمْ ثَرَى لُبْنَانَ، مَبْدِعُ
الْبُدَّاعِ: مَنْ نَثَرُوا الدُّنْيَا وَمَنْ نَظَّمُوا،

بِهِ أَلْفٌ جِينًا لَا الشَّمُوخُ حَكَى
أَعْلَى، وَلَا الْعُودُ وَفَاءُ وَلَا النَّعْمُ.

طَوَّقَتْ جِيْدِي بِأَنِّي « عَقْلُ أُمْتِنَا
يُعْلَمُ مِنْ سِحْرِي » الْأَثْبَاتُ وَالْهَيْمُ ؟

كَلَامُكَ السِّيفُ، هَا بِالسِّيفِ تُرْسِلُهُ،
وَالْأَصْطَكَاكَ سَكُوْتُ عِنْدَهُ الْقَلَمُ !

بَدِيعُ رَصْفِكَ، فِيهِ أَنْتَ: قَامَتْكَ
الْغَيْنَاءُ، صَدْرُكَ، صَدَقَ الْعِزْمَةُ، الشَّمَمُ،

وَفِيهِ مِنْ أُسْرَةٍ قُلْتَ الرَّمَاحُ نَمَتْ
قَوْمًا، وَقُلْتَ بِخَيْلٍ طَارَتْ الْهِمَمُ !

مَصْرُ تَنْشِيٍّ مَا الْقَوْفَازُ أَنْبَتَهُ
مِنْهَا الْحَضَارَةُ، مِنْهُ النَّبْلَةُ الْحَكَمُ.

مَا الشُّطْرُ مِنْ بَيْتِكَ الْمَلَانِ غَيْرَ صَدَى
لِكُرَّةٍ غَيْرَهَا الْأَعْدَاءُ تَنْهَزُمُ،

حتى إذا رَدَّ شَطْرَ آخِرٍ لَمَعَتْ
أَهْزُوجَةُ النُّصْرِ يَغْوِي فَوْقَهَا الْعَلَمُ!

أَمَّا الْقَصِيدَةُ، مِمَّا رُحِّتَ تَعْمُرُهُ،
فَالْبَرْجُ مَادَ كَمَنْ بِالْأَفْقِ يَصْطُدُّمُ،

يَقُولُ إِنَّ ابْتِهَالاً سِرٌّ فَتَنَّهُ
وَإِنَّ دَقًّا عَلَى بَابِ السَّمَاءِ الْحُكْمُ!



غَيِّتَ لُبْنَى، أَلْبَنَى غَيْرُ مَنْ هَجَرَتْ
تَسْكُنُ الدَّمْعَ فِي عَيْنِكَ يَنْسَجُمُ؟

لَنَجْمَةِ الصَّبْحِ وَدَّتْ لَوْ تَكُونُ لَهَا
بَدِيلَةً، وَعَلَيْهَا الشَّعْرُ يَنْهَدُمُ.

وَارِيَتْهَا لَا بُشْرَبِ، بَلْ بوردِ ضَحَى،
وَالْحَبُّ حُبُّكَ وَرَدُّ الشَّدَا بَرْمُ...

وفَجَّرَ الدَّمْعُ فِيكَ النِّبْعَ. مَصْرُ، رِدِي
نَيْلاً مِنْ الشَّعْرِ، يَا نَيْلاً هُوَ الْكَرَمُ.

بِمَصْرَ حُبَّتِ الدُّنْيَا، فَكَيْفَ إِذَا
رَاحَتْ عَلَى الرِّيشَةِ الْخَضْرَاءِ تَضْطَرِمُ؟

أَقُولُ: كُنْتُ إِلَى نَجْمٍ تُشَدُّ فِطْرُ،
حُدُوثٌ، وَالْعَبُّ كَمَا لَمْ يَلْعَبِ الْقَدَمُ.

*

عِمْلَاقَ مَصْرَ، قَوَافِيكَ الْكِبَارُ بِنَاءِ
بَنِيهِمَا ————— مَا يَزَالُ الْأَرْضُ يَتَسَمُّ.

وَمَنْ أَنَا لِأَرَدُّ الْيَوْمَ بَعْضَ نَدَى؟
صُمُّ قَوَافِيٍّ فِي رَدِّ النَّدَى بَكُمْ.

إِنْ شَاعَرْتُ هَامَ بِالنَّيْلِ انْتَشَتْ قِمَمٌ،
فِي أَرْضِنَا، أَوْ تَصْبِي مَادَتِ الْقِمَمِ.

مِصْرٌ هِيَ الْمَجْدُ، كَانَ الْمَجْدُ مُذْ طَفَرَتْ
فِي الْبَالِ، فَالْكُونُ أَذُنٌ بَعْدَهَا وَفَمٌ.

أَوَّلُو النَّهْيِ الصَّيْدُ نَادَتْهُمْ هَيَّا كُلُّهَا،
وَعَلِمُهَا رَفَدَ الصَّيْدِ الْأُولَى عَلِمُوا.

غَاوٍ بِهَا شَرَفُ الْإِنْسَانِ، مَا تَخَذَلَتْ
عَصْرًا، وَغَاوٍ بِهَا ذُو الرِّيشَةِ الْعَرِمُ،

إِنْ ضَامَهَا الضَّيْمُ مَسَّ الْخَالِقِينَ دُنَى،
أَوْ نَالَهَا الظُّلْمُ رَاحَ الْحَقُّ يَظْلُمُ.

لِبْنَانُ نَحْنُ ! وَهَا نَحْنُ الشُّهُودُ لَهَا،
نَدِينُ، يَوْمَ اتِّصَافٍ، لَيْسَ نَتَّهِمُ.

(١) الفلاسفة الاغارقة.

الحُبُّ نحن شرَعنا^(١) ، الحُسْنُ نحن بدَعنا،
البُغْضُ نحن قطعنا أَنه العدمُ،

جبلٌ قالت بقاء النفس واكتشفتُ
ربًّا أبى لقضاءِ السيفِ يُحتكمُ،

الليلُ لولا سَراها غربةٌ قتلتُ
والشمسُ لولا هواها وَهْمُ مَنْ وَهَمُوا .

بلى، جراحاتُ مصرٍ في مضاجعنا،
في الروح يُسخى بها، في العظم يَنثلمُ،

في الريحِ ، في غَضَبَاتِ الغيظِ، في غَدنا،
في مبتغى ما ابتغى الأبطالُ إن هجموا،

(١) اشارة الى قول الاله ليل: « الحربُ ليست من مشيئتي، ضَعُوا
الأرضَ الصلحَ، ابذروا في الترابِ المحبةَ، وصَبُّوا السَّلامَ في
الأرضِ » .

ما لم تَزِنْ مِصْرَ وَزْنَ الْحَقِّ يَبْقَى دَمٌ
على الضميرِ ويبقى أن يُراق دَمٌ !

✱

أُطْلِيتُ مِنْكَ عَلَى التَّارِيخِ رُنْحَنِي،
هَمِي كَمَا الضَّوءُ فِي بَالِي، كَمَا الدَّيْمُ...

وَيَعْطُرُ الْبَالُ إِنْ يَمْسَسُكَ، عِطْرَ يَدِ
مَسَتْ بِنَفْسِجَةٍ أَنْفَاسُهَا حُرْمٌ.

لِمَ لَا؟... وفي القَصَصِ الْعَالِي الَّذِي نَسَجَتْ
غَزَارَتَاكَ اسْتَجَدَّتْ سِحْرَهَا النُّظْمُ.

غَدَا الْهَوَى بِدَعَةٍ، مَرًّا بِبَالِ هَوَى
وَسُكَّرَ عَقْلٍ عَلَى الْقَرْطَاسِ يَرْتَسِمُ،

وَأَيَّةَ طَرَفَتْ حَتَّى لِيرَشُقْهَا
غَيَّانُ أَنْ أَنَا ضَلِيلٌ وَلِي جُرْمٌ...

بالكأسِ أفديكَ، بالدنيا، بساجعة،
بلوزِ نيسانَ للزَّيناتِ يَيسَمُ،

بالشَّعرِ، بالمنتهى، بالمجدِ أشعني،
بحطِّ عيني بعينِ الحقِّ ألتهم !

حتى إذا لاح لي أني وهمتُ؟ همتُ
متي الشجونُ كَمِنَ أفلاكِها السُّدُمُ !

رفيقَ شطرةِ عمر، ذاكرَ ولها
بشعرِ مطرانٍ والألبابُ تحنُّدُمُ ؟

أسمعتُكَ المُرتجى. ما كان؟ ... دَعِ خُلُقي
للصمت، لا شَرَفَ إلَّاكَ، لا ذِمَمُ !

ما زلتُ منها كما يَوحُ النسيمُ لمن
من النُسيماتِ تُشقي وهي لا عَلمُ:

— مُرِّي بدارتنا، يا طِفْلَ، وانحطمي
على بساطٍ من التُّسرينِ يَنحطُّمُ...

بِهْدَبِكَ الرِّيحُ تَنأَى، أَنْتِ مَرْتَحِلٌ !
بِقَدِّكَ الشَّوْكَ يَذْمَى، أَنْتِ مَتَّقِمٌ !!

إِنْ كَانَ بِالْهَزَجِ مِنْ صُبْحِكَ لَا أَمَلٌ
فَعِنْدَ خَصْرِكَ لِمَ لَا يَصْدُقُ الْحُلْمُ ؟

حَتَّى إِذَا يَنْدِرِي شَعْرٌ وَكُنْتَ غَوًى
تَمْلُمِلِينَ، وَآهَ الْقَوْلُ وَالْقَسَمُ،

تَهُمُّ شَمْسٌ بَأَنَّ تَغْشَى فَأَمْنُهَا:
ضِيْعِي مَعِي، يَا ضِيَاعِي، وَأَحْلُ يَا نَدَمُ...

وَتَسْأَلِينَ: لِمَنْ سُهُدِي، بِمَنْ وَجَعِي ؟
يَا قَاطِفَ الشَّمْسِ، أَكْمِلْ أَوْ أَنَا الرَّمَمُ !

وننتهي ننتهي في قُبْلَةٍ وَلِهَـثْ
وفوقُ يغمزُ فينا بُلْبُلُ رُنْمٍ...

شيءٌ عن الشُّعرِ هذا، أَسْتَلَّه كَلِيفُ
بالشُّعرِ، أَمْ سَكُرُ صَبٍّ لَيْسَ يَحْتَشِمُ؟

فَلَنَبِّقْهُ بَيْنَنَا سِرَّ الكُؤُوسِ، بِهَا
يَمُرُّ هَاوٍ فَيَدْرِي أَنَّهُ الْجَمَمُ.

✱

عَمَلَاقُ مَصْرَ، إِذَا أُعْوِزْتَ فِي تُخْلِدِ
فَضْمٌ مِنْ تُخْلِدِنَا مَا شَاءَتِ الضُّمَمُ،

مِنْ زَهْرٍ لُبْنَانَ تُخَذُ عَرْشاً وَمِنْ قِيمٍ،
لَا زَهْرُ لُبْنَانَ مَنَّانٍ وَلَا الْقِيَمُ.

فَلْيُرَوِّ الزَّمَانُ

على اسمك، بين الحُورِ أغوى وأهْدُرُ،
أنا النهرُ، شوقي، أينما اليومَ أشعرُ؟

هنا، الذكرياتُ، المجدُّ، ما بعدُ من صبا،
هنا أنت، فليروِ الزمانُ ويسكرُ!

• يوم احتفاء زحله بتمثال احمد شوقي.

طَرَقَتْ، لِمَامَ الطَّيْفِ، ذَاتَ عَشِيَةِ
وَكُوكَبَ مِنْ حَوْلِكَ جَنَّ وَسُمِّرُ...

هُمْ أَسْمَعُكَ الْقَوْلَ، زُلْزَلَتْ مِنْ شَجِيٍّ،
هُمْ سَكَبُوا، جُنْتُ بِكَاسِكَ أَخْمَرُ،

وَحَتَّى إِذَا غَنَّى (شَفِيقٌ) وَرُنَّحَتْ
بَلَابِلُ وَاعْلَوْلَتْ، لِمَا قَالَ، أَنْسَرُ،

وَعَرَّجَ صَوْبَ الْكُونِ (رَاجِي) يَزِيدُهُ
صَبَاءً، وَتَغَاوَتْ حِكْمَةٌ تَأْزُرُ،

وَلَاعَبَ بَعْضاً مِنْ خَوَاطِرَ أَوْ مَنَى
بَيَانٌ لَذَاكَ (الشَّيْلِ) بِالضَّوْءِ يَقْطُرُ،

وَكَانَتْ نَسِيمَاتُ لَزَجَلٍ عَلِيلَةٌ
تَجِي وَتَهِي وَاللَّيْلُ تَعْبَانُ مَقْمَرُ،

يسأَل: هذا الكونُ أكبرُ أم هم،
نماهم وِغْنَى أم نَمُوهُ وخَبُرُوا؟

هممَتْ يُنْطِقُ... انما هِبَتْ موقفاً
فقلت: لكم يومٌ معي طاب يُذكرُ.

*

على سَتِينِ الأَرْضِ دارَتْ... تطلَّعي،
قصيدةٌ شوقي، جاءَكَ السَّهْلُ يُزْهِرُ...

تقولين ماذا؟ أننا السيفُ والنُّهى
لَهَوْنَا بأَكْوَازِ النجومِ نبعثُرُ؟

وَأَنْ جَارَةً صابَتْ على الحَبِّ فالتوت،
لها فوق زُنْدِ غَنَجَةٍ وتكْبُرُ؟

قصيدة، فضِّي السِّرُّ: خَصِرُ حَيَةٍ
هنا أم كلامٌ أبجدِيٍّ مخدَّرُ؟

أنا بعدما اعدو ذبتُ أُعْبِدُ شِعْرَهُ،
وقعتِ على زندي وشعركِ أَشْقَرُ...

هو اقْتَنَ قصداً، قال شعركِ مِنْ دَجَى
يُسْتَرُ... والعُشَّاقُ دوماً تَسْتَرُ...

وقد لا تكونين استجبتِ. رددته
كسيراً... فان يعزِفْ فعودٌ مجبِرُ...

تعالِي نُحِبُّ الحَبَّ، جارة، لا انتهى
اليه زَمَانٌ، لا براه تحسُرُ،

كما اسمانِ في بعضِ الحكاياتِ علاناً
مَخِيلَةَ قُرَاءٍ فُجُّوا ودُمُّوا...

سيوانا بعصرِ الكرمِ يسكُرُ. نحن لا.
بنا سُكْرُهُ الكرمُ، اقْطِفِيكِ سَاعِصِرُ...

أنا لي أفانينُ جديـداتٌ لذّةٍ
عليهنَّ كُرُّ الثاـنيـاتِ مـسـمُـرُ،

إذا همَّ آنٌ بالنفـادِ ثـيـتُـهـ،
تُرى الآن يُدرى لو أنا لست أنظرُ؟

تمرُّ يدي من خلفِ خـصركِ... لا جنت...
كفى أنْ سـُـسـتـهـوى... كفى أنْ سـُـتـهـدَّرُ...

لذائذنا بالشوكِ أغرى تفتُحاً
وأوجعُ من شَمِّ العرارِ وأعطرُ،

وطرفكِ يَحْلُولِي لي فيخلقُ جنّةً،
ويقطعُها طرفي فها هي أكثرُ...

نميدُ؟... دعينا... بل تميـدُ بنا الرُّبى
لنحـنُ غـواهـنَ الرُّبى والتـبـخـرُ!...

تقولين لي: « أهواك ! » تفتُر زهرة
ببال الصدى تحكي... وتبكي... وتسهر...

وإن تسكُتي أحيِ التقاءَ لفتةٍ
بلفتةٍ تلك العينِ تدعو... فأبحر...

إلى أين ؟... من يدري ؟... لسِرِّكَ بعضُهُ
الدُّموعُ... وسِرِّي أنني لا أُخَيِّرُ !

وَألمعتُ أن لو يلتقي بضم فم
فَألمعتُ أن لو لا يكون المقدر.

وحاولتُ أن أشفى. سوى أن عاصفاً
بصدري رمانِي حيثُ سحرُك يسحرُ.

وشدَّك صوبِي من ذراعي تولُّة،
وأنك طوقَ المستحيلِ وأكسِرُ !



بعيدٌ قريبٌ... عهدُ زحلةٍ بالذي
رماها ببالِ الناسِ حسناء تطفِرُ...

وآنا هي الشَّعْرُ الوحيدُ، أما انتهى
إلى قولةٍ فيها تعيشُ وتخطُرُ؟

عروسي، حبي ما بدعتُ. لمنكِرُ
أنا كلَّ شعري، غيرَ ما عنكِ أُسطرُ!

بقلبي، شوقي، أنتُ! بالنهر، بالندى
بكل شذا وردٍ كما الخُلُقُ يُنشرُ!

تفينا الوفا هذا لأننا على الهوى
هززنالك، يوماً؟ ما الهوى؟ التُّبْلُ أكبرُ؟

لَمِنْ أَجلها ها أنتُ، ما الصبحُ، ما المساءُ؟
على ضِفَّةِ النَّهرِ، الأميرُ المؤمَّرُ

ولكنَّ منَّا من بكى. هل سمعتهُ
يسألُ، والتسألُ كالْبُوحِ يُوثرُ:

— حديداً رَجَعْتَ اليومَ؟! ويحَ مسافرٍ
كما مرمرٌ هُنا، وهُنا تمرُّمرٌ،

وما همَّ... كُنْتَ الشعرَ، يُكتبُ فرحةً
فيقرأُ آهًا، طابَ يَشْدُو وَيَزَارُ...

يخالونك الوَقَافَ: أحداثُ عصرهم
لوتك، كما الأطلالُ والركبُ يهجرُ،

يضيُّلون! لا إلَّا الجمالُ عبدتهُ،
كبعضِ الدُّمى أحداثُهم بك تعبرُ.

همومهمُ الناسُ: الغنى، السكرَةُ، العلى،
وهمُّك رشقُ الآنِ بالحُسْنِ يَنهَرُ...

تَوَافَهُ؟ مَا كَانُوا، ظُرُوفاً تَخِذْتُهَا،
كَشَمْسٍ تَدُوسُ اللَّيْلَ تَقْهَرُ تَقْهَرُ ...

هُمْ مَفْرَدَاتُ الْمُعْجَمِ السُّودِ سَلَهَا
لَيَرُصْفَهَا كَالنَّارِ غَاوٍ مَغِيرُ،

فَتَسْمَعُ دُنْيَا مَا يَقُولُ وَمَا يَرَى،
وَتَقْلُقُ بِنْتُ الْغَيْبِ نَهْدًا وَتَظْهَرُ!

وَمَا الشَّعْرُ؟ بَعْضُ الْغَيْبِ غَنَى كَطَائِرٍ
وَبَعْضُ نُهْيٍ إِنْ رَدَّ رَدَّ يُحْيِي.

وَيَا رَبَّ حَرْفٍ أَشْعَلَ الشَّطَرَ كُلَّهُ،
وَشَعْبٍ خَرَابٍ سَوْفَ تَبْنِيهِ أَشْطَرُ!

أخبر الكتاب

تمنّعت في قلب الشمال كما الحصن
لك السهم يا اخت الكتاب، لك الرن
عليك تُخطّ الشمس صعباً جمالها
وأنا تُخطّ الريح عاصفها لدن
فيسمّعك الحكّام، يخفّت صوتهم،
كأن قلموا ظفراً، كأن مسّهم وهن

* في يوم « صدى الشمال » الذي احتفلت به الأمة في طرابلس.

وَيُشْرِقُ بَعْضُ النُّورِ مِنْ صَوْبِ اهْدَنِ
لَأَنْ اسْوَدَّا أُشْعِرْتُ أَنْ طَمَا الْغَبِينَ

وَيَا نُقْطَةً مِ الْأَرْضِ شُدَّتْ إِلَى الْعُلَى
رَجَالُكَ إِلَّا بِالرَّجُولَةِ لَمْ يَنْوَا

صَحِيفَتُنَا أَمْ سَيْفِنَا؟ أَيَّ فَارَقَ؟...
هَنَا شَمَخْتُ رَأْسٌ، هَنَا شَمَخَ الْفَنَ

شُعِفْتُ أَنَا بِالْعَنْفَوَانِ، خَبِرْتُهُ
صَنُوفًا، وَأَخَانِي كَمَا الْغَيْمَةُ الْمُزْنَ

وَلَكِنِّي لِلْعَنْفَوَانِ بِمَرْقَمِ
تَمَايَلْتُ قَلْبِي الطَّيْرَ مَالٍ بِهِ الْغَصْنَ

أَسْأَلُنِي: بِالْوَرْدِ، بِالشَّعْرِ، بِالسَّنَى،
أَنَا جِئْتُ، أَمْ بِاللَّيْلِ أَطْرَحُهُ يَرْنُو

الى قلم لبنان أحلام باله
وأرزئه ما مكتسأه وما الرذن

أنا قلمي — أفديه ! — طفل ازاءه
له الزار إن نغضب معاً، ولي الآن

يصول يجول، النار بعض صريره،
به الأنس من غاب الشمال أو الجن،

وعلم أذني كيف تُنقر نبلة
كعود، وعيني كيف يتسم الطعن

لرائعة شكاته يوم هجمة
وصافية آراؤه والملا جئوا

يقول: هنا هادن، هناك أضرب الخنى،
هنالك خلّ المستبدّ له عنّ

وكأبره على جرح وقل: لم أصب أنا
ودع قيحة الحُكَّام يُسكرها الأحن

وأجملها الهمَّات أن غريمها
يميع على الجُلَى كمن هذه الجبن

وما الحق لم تطرب له، لم تهيم به،
هو الراحن الغلاب والآخر الظن...

وما ضرَّ أن ردّوا عليك بمثلها
وحطّم منك الضّعْفُ "ما حطّم الضغن!"...

ستكبر ان تُهزم لأنك في غد
سترجع رُجعى السيف طيّهُ السن

بلى هكذا رحنا معاً نبتني العلي
سخاءً بلهو، وحده اللهو لا من

(١) إضمار العداوة

(٢) الخلط

(٣) الحقد

مُنَانَا رَضِيَ لِبْنَان، وَجْهُ خُلُودِهِ،
نَضِيعَ بِهِ كَالشَّمْسِ ضَاعَ بِهَا الدَّجَنُ

وَمَا هُمْ أَنْ مُتْنَا وَلَمْ نَبْلُغِ الْمَنَى
كَفَى أَنْ مَشِينَا لَا التَّوَاءَ وَلَا هَذُنْ

غَدَاً، فِي خُطَانَا، يَجِبُهُ الصَّعْبُ نَفْسَهُ
بَنُونَ هُمْ الْأَسْيَافُ مِقْبَضُهَا نَحْنُ

إِلَيْكَ، أَيَا أَخْتِ الْكِتَابِ، مَكَارِمُ
تُحَجِّجُ، تَقُولُ: الْكَأْسُ هَمِّي لَا اللَّذْنُ

هَلِ الْخَمْرُ بِالْحَجْمِ؟ ... اكشِيفِي عَنْكَ: آتْنَا
كَمَا صَوْرُ، قَلَّ الْجِسْمُ وَاكْتَوَثَرَ الزَّهْنُ

بِأَسْطَرِكِ الْإِلَهِ بِالْأُلُوفِ حَمِيَّتِهِ
الشِّمَالُ، جِبَالاً مِنْ جَنَى حَوْلِ الْحَزْنِ

فلا مجدٌ من أرث الجدود اغتفاليته
ولأغد عَزُّ هَيْتِهِ وهو مُكْتَنٌّ

جميعاً جمالُ الروح أنتَ له صدَى
جميعاً بهاءُ الله أنتَ له سَدَنُ

بنفسجَةِ الأَقلامِ، يومُك، أُمَّةٌ
به افْتَنَّتِ والعمرُ أَجْمَلُهُ فَتَنُ

لَيُطْرِبُ بالي حَمْلُ قِيثَارَتِي هَنا
ولا طَرَبَ الأوتار طار بها اللحنُ

وشِعْري الذي غَنَّاكَ طَيِّبَتِ بَثُّهُ
كما دَقَّةُ المِهْجاجِ طَيِّهَا البُرُ

رصعت بالي

رَصَعْتُ بِالْيِ وَعُمَرِي أَزْهَرُ نَضْرُ
كَمَا يُرْصَعُ لَيْلُ الْعَاشِقِ الْقَمَرُ
وَدَارَتِ الْأَرْضُ، لُقْيَانَا عَلَى وَرَقِ
لُقْيَا الَّتِي جُنَّ مِنْ سَمْعٍ بِهَا الْوَتَرُ
لَا مَسَهَا... لَا رَأَاهَا... صُوِّرَتْ أَمَلًا
فِي مَوْضِعٍ مَا... وَاحِلَاهُ الْهَوَى صُورُ

* في يوم شقيق معلوف الذي دعت إليه مدينة الشعر.

أبقي من الحب وُدَّ أين عارفه ؟
هل يعرف العطرَ إلا زهره العطر ؟

إن شاعران، كما نحن، استطابهما
عصرٌ وناجتهما في القبة الدرر

وفتحا الورد من روض ومن ريش
وفتتا المسك حتى لهو منهر

ورقصا الجن والاحلام وانتهرا
بؤابة الليل أن فلتُهتكِ السُّر

وكان قلباهما ما الصدق ؟ ما شمم ؟
ما الشمس تقطفها كفٌ وتعتصر ؟

يبقى على الدهر ما خطأ... وما نسيًا...
وما به آه مما أُسمِعَ الحجر...

أَجِبْ، أُخَيَّ، الصَّدَاقَاتُ الَّتِي رَبطَتْ
مَا بَيْنَنَا أَمْسَ، حَقّاً شَابِهَا قِصْرٌ؟

حَقّاً سَتَنْقَلُ كُتُبُ انَّا خَبِرَ
كَالْغَيْبِ يُسْأَلُ دَوماً فِيهِ: مَا الْخَبِرُ؟

وَمَرَّتَيْنِ، عَطِيشَاتُ الزَّمَانِ هُمَا،
يُشَاوِنَا نَلْتَقِي لَا يَخْلُ الْعُمُرُ

عَلَى رَبِي كَرَمَةٍ أَوْ ضِغْتِي نَهْرٍ
لَهُ الْهَدِيرُ الَّذِي مَا زَالَ يُتَكَّرُ

أَقُولُ: نَخْلُكَ فِي لَبْنَانٍ، مَرْتَعُهَا
تِلْكَ الطُفُولَةُ نَادَى وَالْمُنَى كُثْرُ

يُحِبُّنَا النَّهْرُ، يَرَوِي أَنْ مَبْتَنَّا
فِي حَيْثَمَا نَبَتَ الشَّجَعَانُ وَالشَّجَرُ

وَأَنَّ زَحْلَ سَمَاءَ بَعْضُ انْجَمِهَا
الشعر، الندى، الزنبيقات، النخوة، الكبير

لِهَا الْفُتُوحَاتِ حَيْثُ الْوُلْدُ قَدْ مَلَكُوا
لَكِنَّمَا الْعَرْشُ حَيْثُ الْأُمُّ تَنْتَظِرُ

تَحْتِجُّ أَنْتِ بِفُلْدَاتِ لَهُمْ وَطَنُ
هَنَّاكَ، يَا جُرْحَ بَيْتِ أَهْلِهِ انْشَطَرُوا

إِلَّا انْفَضَّ الْيَوْمَ عَنْكَ الْقَبْرُ مَدْرَعًا
مَهَابَةً الصَّقْرُ عَيْنَاهُ هَوَى شَرَرِ

مَجْلَجَلًا: أَنَا كُلُّ لَا أَشْرَدُمْنِي
عَلَى الدَّخِيلِ انْتَصَرْتُ؟ الْكُلُّ مُنْتَصِرٌ

وَوَاحِدٌ مَجْدُ لَبْنَانَ الَّذِي أُخِذَتْ
عَنْهُ الْحَضَارَةُ مَا لَوْلَاهُ وَلَا حَضَرَ

جبلُ بيروتُ صيدونَ طرابلسُ
إطارها البَدْعُ أو لا كانت الأطرُ

ان مُسَّ ذِكْرُ لِقَانَا أو لِصُورَ سِنَيَّ
مُسَّ الكمالِ، رُؤى التاريخِ والعِبرِ

أو حُمِشتْ لَمْعَةٌ مِنْ بَعْلِكَ اسَى
تَوَجَّعتْ مُهْجَاتُ الحُسْنِ تَنْفَطِرُ

أَقْسَمُ البَيْتِ؟! ماذا! الأَنْتِصارُ سُدَى؟!
ماذا! دماءُ رفاقي في الفلا هَذَرُ؟!

لِبَعْضِ لَبَنانَ قَاتِلْتُ؟! اشْهَدِي، شَيْمِي،
كما السواحلُ هاتيكِ الرَبى الخَضِرُ

شمالُهنَّ، الجنوبُ، القلبُ تلكَ سما
بالي، لَتَبْقَى وَيَقَى الرَّمْلُ والتَّهَرُ

وَوَحَدَهُمْ أَهْلَهَا أَغْلَى عَلَى كَبْدِي
مِنْهَا، كَعَيْنِي أَغْلَى مِنْهُمَا الْبَصَرِ

جَمِيعُنَا لَفَحْنَا الْحَرْبَ: ذَاكَ بِمَا
قَاسَى، وَهَذَا بِقَصْدِ الْمَوْتِ يَتَدَر

وَلَنْ أَفَرِّقَ، نَاسِي النَّاسَ لَا بَعْدُوا
كَذَا الْيَنَابِيعُ، مَائِي الْمَاءُ لَا الْكَدْرُ

وَلَسْتُ أَخْسِرُ نَصْرًا هَزَّ أَعْمَدَةً،
لِبْنَانُ مَنْشَطَرٌ؟ لِبْنَانُ مَنْدَحَرُ!

تَرَاجَعُ نَحْنُ؟ سَكَنِي فِي الْخَبَاءِ؟ أَشْبَحُ
جَمَالُهُ السِّيفُ إِنْ السِّيفُ يَنْشَهَرُ

بَلَى جَرَأُكَ مِنْ بَحْرِ تَوَزَّعْنَا
هَنَا وَهَنَا صَغَارًا عِنْدَهَا الْحُفَرُ!

اسْكَنْتَهَا بَعْضُ قَصْدَانِ كَمَا غُصَصُ
لِلنَّايِ اَوْجَعُ مِنْهَا النَّاسُ اِنْ غَدَرُوا

اِفْتِنَ بِشَعْرِكَ لَكِنْ قُلْ تَحْطَمَهِ
مِمَّنْ غَوَوْا وَبَذِمَاتِ الْعُلَى كَفَرُوا

لَوْحَدَه فِي الْعَدَاوَاتِ الدَّخِيلُ، جَرَى
بِيَالِهَ غَضَبُ اَرْضِ تَرْبُهَا الطُّهْرُ

وَإِنْ نَكُنْ لِرَبِّي خَضِرٍ شَمَخُنَ هَوَى
شَطِ وَقَمَاتِ صَخَرٍ لَيْسَ تَكْسِرُ

مَعَانَادٍ، لَهَا فِي اللَّهِ، وَالتَفَتَتْ
دَوْمًا إِلَى اللَّهِ، قُلْ هَلْ بَعْدَهَا خُسْرُ؟

بَلَى سَنَبَقَى وَيَبْقَى فَوْقَ صَخْرَتِهِ
لِبْنَانٍ قَهَّارٍ مِّنْ مَا غَيْرُهُمْ قَهَرُوا

وقال من خطر نمضي الى خطر ؟
ما هم ؟ نحن خُلقنا بيتنا الخطر

يا شاعر الحكمة اعلولت كما شرف
هيمي بما لا حكي الإغريق لا سَطَروا

واين منبتُها ؟ الصحراء ؟ ويك ! أجب
أأنت رب ليغشي قفسرك الزهر ؟

تلك الأساطير سُكّر البال، واحدة
منها مرورك في الدنيا كما الشرر

تكون كانت، وشقت عبقْر غدها،
لو لم نَعْر لِعِمالق وتأتزر ؟

حقائق ام خيالات ملأت بها
كأس الوجود فدارت والملا سَكروا

قلت الجراح زهور الحب، قلت ندى
هم الندى، قلت ما السَّهَّارُ إن سهرُوا

عَوُوا عذاري وزيناتِ خواطرٍ، ضِعْ
ما بين بين يَجْدُكَ الصَّحْبُ يا سمر

الليلُ يشقى بعشاقٍ؟! ضللت منى،
يشقى بها الليل تلك الخردُّ الفكر

وقلت كيف الهوى الباقي ولو جُرْحاً
اشهى من العمر جراحاً به الضجر!

وقلت ما الحربُ الا القوةُ أَفْتِنْتَ
بنفسها، وزهورُ الشر لا ثمرُ

وان حُرِّيَّةٌ فوق الجَمال هي
الاحرار، لا الكلماتُ الخَلْبُ الغرر

وَأَنْ مَنْ عَمَدَ الْعَلِيَا بِاعْمَدَةٍ
كِبَلِيكَ أَطَاعَتْهُ الْعُلَى الْأُخْرَى

حَنَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ، أَغْفَتْ عَلَى يَدِهِ،
كَمَا تَغَافَى عَنِ اجْفَانِهِ النَّظَرُ

وَقُلْتُ مَا قَالَهُ لِلشَّمْسِ عَابِدُهُمَا:
اغْدُو أَنَا أَنْتِ أَوْ لَا يُبْلَغُ الْوَطَرُ

مَاذَا ! شَرَدْتُ أَنَا ؟ حَمَلْتُ خَمْرَكَ مَا
أَهْوَى ؟ لَهَا الْكَأْسُ أَمَا طَيِّبَتْ عُذْرُ

جُزْ جُزْ مَعِيَ صُوبَ اخْتِ الْحَسَنِ، رَبَّتِهِ،
فِي كُلِّ بَالٍ أَنَاهِيْدُ لَهَا اثْرَ

عَرَفْتُهُمَا أَنَا مَنْ، وَالْحَسَنُ اعْرِفُهُ
بِرَاهِ رَبِّ وَلَكِنْ كَمَّلَ الْبَشَرُ

نقلتهما عن هواك، الله في يده
شاركك! ها بك أنت الحسنُ يأتمر!

أعزف وریشتك الهدبانِ، ضع وأضع؟
وعبر هُديينِ كم يعدوذبُ السفر!

يا وردة الورد، خُطّي فوق ناسمة
أن زرتها الارض فاحلوت لها ذكر

عينان لا الليل مرميًا بغيرهما
ليل، ولا الضوء الا منهما خدير

ومُعنق لم يزُل يعلو كأن سحر
يقول ازميله: لا ينتهي السحر...

وقامة شكها شك الجريد بدت
لقاهرين بهوا بالحرب ما انبهروا

بلى، التقاءُ التي صُبَّتْ، كما حلُمُ
في بال شاعرها، قهرٌ ومقتدر

لأمةٍ صانها عن ذلّة قلمٍ
لا السيفُ أجملُ ان يُسَعِفَ ولا القدر

لِمَ انتصرنا ؟ أمتنا الموت ؟ لم نهب
الدنيا تجمّع منها التابُ والظفر ؟

لأننا كان منا شاعرٌ عَبَدَ الحسن،
العلی، المنتهى، العِرضَ الذي يفر

ندى الغمام، سماحَ الكف، رَدَّكَ لم
تَجِبُنْ — قوافٍ بهنَّ الله يُختصر!

زهورُ لبنان، وهي الحربُ، ما وفدتُ،
نكسُها الأسيفُ، اعبرَ رأسَ مَنْ عبروا

الى الخلود الى حبي، الى ملاء
أعلى، جثي له التيجان والسُرر

الى ظلال التي في المنتهى ورَفَت،
على اسم سِدْرَتنا، تعلو وتنتشر!

أَسْـَٔلُكَ عَنِّي زَهْرُ لَيْلٍ

ذَكَرَكَ فِي الْبَالِ مَا ذَكَرَكَ؟.. قَلَّ ضَرْبًا
عَلَى هَوَى الرِّعْدِ سَيْفٌ أَشْعَلَ السُّحْبَا

وَلَوْ لِرَيْشَةٍ عَصْرِ أَنْ تَظْلُلَهُ
لَكُنْتَ كَاللَّيْلِ لَفَّ الْمُنْتَهَى بِأَيَّا

وَاللَّيْلِ وَحَدَّكَ تَدْرِي أَيْنَ مَبْنَعُهُ
وَكَيْفَ كَانَ وَكَانَ اللَّهُ مَا وَهَبَا

» فِي مَهْرَجَانِ «أَيَّام طَه حُسَيْن» بِالْقَاهِرَةِ.

من قبل ما الأزل ابدؤدى رمى يده
على الذي سوف يغدو الكون واجتذبا

كذاك أنت، رمث عيناك ليلهما
ثقلأ على الشرق، ردَّ الشرق ملتها !

لا، لم تقدها « استفيقوا »، انما بدعت
يداك بدعأ تصبى الجفن والهدبا

بات الذي يقرأ « الايام » مختلياً
بالحسن والحسن يُنبى يوم ليس نبا



بعد الكتاب الشجي استنَّ مُنتهَج
أنَّ يصدق القلم، أزهوهِ ام انتحبا

تعلم الجيل من طفل تمرُّ به
أزاهر فترى في وجهه العطبا

فتكنتمُ الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستهذب الكذبا

يمضي اليها يغنيها يحببها
به: « يا أزهير، انتشي طربا

أنا الطبيعة لم تغدق علي فلم
أردُ بالمثل؟... هاني الكأس والحبا

الا اشربي، يا أزهير، اشربي: ليدي
تسخي كما النيل ان واثبت وثبا.

تعلم الجيل من طفل تؤدبه
« الأيام » حتى ليغدو وحده الادبا !



مَنْ وَاكْبُوكَ وَمَنْ ظَلُّوا الْعَجَاجَ بِهِمْ
بَنِيَتْ مِصْرُكَ وَاسْتَنْبَتْهَا الْقُبَا

كما صرعت، رفعت: الريح آيتها
أند الغوى هي، لا ثوب ولا قشبا

واليوم في ظل ما أطلعت من فكر
ينام تيهها على المجد الذي اصطخبها

دعني وخاطرة تفتُر قلت « نفرتيني »
تعود على لغبات من لُعبا

ذاك الذي حطَّ في الصُلب الجمال اذ
اعلولى، وسمرها الأغنية الذهبا

مُخْلِياً لشروق الشمس غصن شجراً
وباعثاً حسداً في الناي إن عذبا

ومسحة لا تني سيراً ومفتتنا
بأن يرى أرباً ما لم يكن أربا

وشائلٌ بغواها وهُمُ ان لها
مثلَ الجناحين رفاً فوق... واغتربا...

وما التقى الحُسْنُ من لبنان ضجَّ صيًّا
بفنٍّ مصر تغاوى في الحديد صيًّا

حتى غدت للأولى قبلوا العقول مُنيّ،
وللأولى ارتحن لاستغائبهن غبا

لا الحسن، بل حُلُمُ أن الحسن طوعُ يد
كأنما الله مما نفهم اقتربا

ذاك الذي ترك التمثال متعبه
للناس قالوا انتهى يومَ انتهى تعباً

إزميله أنت أم لِمَسَاتُ إصبعه ؟
سَلْ وجهَ مصر وما أعطى وما خلباً



ومصره ثنتان: ما احييت انت وما
ألهمت. هذي وتلك الفكر متسبا

الله؟ أي هذي كانت هياكلها؟
ومن تعجب لو لم تُعطه العجا

نادت بُناة اثينا من غد، ورمت
في قلبهم شُعلة تستوقف الحِقب

واستعجلتهم، فبرّوا أمهم كرمًا
فكّوا الظلام وقالوا القولة السبا

ومصر من علّمت! لا البدع نكتّمه
عنهم، ولا خاطرات كالسيوف شبا.

كانها أنت، طلق بالها بندي
كانها أنت، زهر مرجّها برّبي

واليومَ مِصرُكَ، مَنْ اطلقتَ، مصرُ مشّت.
فاقرأك شعبَ هُدًى واقراءك شعبَ ظُبى !

تلك الكرامات في العقل ارتجتك أخاً
تلك البطولات في الحرب ارتضتكَ أباً.

في الصوت، في الموت، ها أنت العظيم ! إلا
افتَحْ مقلتيك عليك، استبعدِ الريا

انت الحقيقة ! طُرْ بالخاملين، أفضُ
فيهم عتُّوك، ضيِّءْ كالنور منسكباً،

سَيرَ الزمان الا سرَّعْ، هنا كسِلْ
شروقها الشمس في الشرق الذي اكتباً.



آتِ معي زهرُ لبنان وكنتَ صدىً
لثورة في بنيه تنزلُ العصا

ليست من النار لكن من ارادتها
تُعطي الهنيئات نَبْضاً، تشربُ الغضبا.

إنزل بقلبي، بِهِمَّ الأرز يومَ اسى،
بالشبح بالريح، بالهبات غِبَّ صبا

إنزل بما ضَجَّ في لبنان من ولى،
بالكبر لم ينجرح، بالورد ما انتُها

بماردين أبوا الا الحياةَ عُلَى،
بمُسكين بقرن الدهر مُطَلَبَا،

بحبهم، بضروب العزم في يدهم،
بقولهم للزمان: اركضْ أم أنتَ هبا

تكن نَزَلت ببعض الصخر من جبل
له على المجد فضلُ المجد إن صُعبا



هتفتُ باسمِكَ، ما لَقَبْتُ، لي عُذْرِي.
مَنَذَا يُلقَّبُهَا أَلَّا بِهَا الشُّهُبَا؟

طَهَ حَسِينُ وَيَكْفِي ! ذَاكَ مَن تَهْجِي
أَنَا كَمَا السِّيفُ طَلَقًا أَنْزَلَ الْكُتُبَا.

وَقُلْ لَنُفْلَ الْفُرُوسِ؟

هُمْ سَأَلُونِي : السِّيفَ قَلْنَاهُ : هل تُسَعِّدُ؟
أَجَبْتُ : أَجْعَلُوهَا اثْنَيْنِ : سِيفاً وَلَا يُعْمَدُ

أَخِي نُوْفَلُ، الْأَبْطَالُ تُبْكِي. احْتَفِلْ بِهَا
دُمُوعِي، وَيَكِي فَرَقْدًا فِي الْعُنَى فَرَقْدَ

شُغِفَتْ بِشَعْرِي؟ قُلْتَهُ شَكَّ رَامِحٍ؟
لَبِيتُ قَصِيدِي أَنْتَ، وَالْكَلِمُ الْخَرْدُ

« فِي رثاءِ نُوْفَلِ الْيَاسِ »

تُصَفِّقُ لِي، هَا صَفَحْتِي قُبَّةُ السَّمَا
بِأَنْجَمِهَا مَا جَمَعَ اللَّهُ أَوْ بَدَّدَ

تَقِيمُ شَعْرًا؟ حَسْبُهُ مِنْكَ هَتَفَةٌ،
لَهَا اللَّهُ! بَدْرُ التَّمِّ خُطٌّ عَلَى أَسْوَدَ

وَهَلْ كُنْتُ الْحَرَمُونَ؟ وَجْهٌ إِلَى هُنَا
وَوَجْهٌ إِلَى هُنَاكَ، طَلَقٌ فَلَا يُرْبَدُ

وَمَاذَا هُنَا... هُنَاكَ؟... قُلْ كُلُّ بُقْعَةٍ
حَلَلَتْ بِهَا عَاطِيَتُهَا خَمْرَةَ السُّوَدِّ

فَدَيْتُكَ! مِنْ لَبْنَانٍ أَنْتَ زَها بِهَا،
جَمَعْتَ كَمَا الْمُعْطَى، تَرَكْتَ كَمَا الْمُفْرَدَ

لَأَسْمَحُ تِيهَا حِينَ أَذْكَرُ قَوْلَةً
لَكَ، اخْتَصَرْتَ نُبْلَ الْوَفَا وَمَضَتْ تَشْهَدُ:

— لأهلٍ أنا أصبحتُ منهم أَظُنُّني،
« وإن يَجْعِدَا أُعْتَبَ جَرِيحاً ولا أَجحدُ

أنا الجبل العالِي، كما الله جَارُهُ،
أَجْرَدُ من وردٍ؟... أَجْرَدُ لا أَجْرَدُ



ويا نائِرَ الدُّر، المنايِرُ أَوَّهتِ
عليك، وجُرْحاً باتَ مَنْ كانَ قد غَرَّدَ

وقد أخذتِ عنكَ المنايِرُ لَفَحَها،
وطايها الشَّعر الذي بعدَكَ استوحدَ

شهدتُكَ ما بينَ الذُّهاةِ أَميرَهم
وسابِغها — فَلتَكْتَمِلْ — عُمْدُ المَعْبَدِ

ويُصغِي اليك، الحُجَّةُ البكر تكتسي،
على فَمِكَ التَّيَّاةُ، بالرونقِ العسجدِ

فَإِنْ أَنْتَ فَتَدْتَ، السِّیُوفُ تَقْطَعُ
وَإِنْ أَنْتَ أَتَدْتَ، الْهُدَى كُلُّهُ أَتَدُ

شَهِدْتُكَ، هَلْ لِي أَنْ أَرَدَّكَ زَعْرَعًا؟
تَشِيلُ بِقَوْمٍ أَوْ تُحْطُ وَلَا تَجْهَدُ

هَدَوْتُ كَمَا الْأَوْلَمْبُ، رَبِّ لِأَمْرِهِ
أَقُولُ الرِّوَايَةَ انْصَعْنِ وَامْتَثِلِ الْجَلْمَدُ



وَيَا خُطْبَةً لَا النَّسِيَّ مَسَّ جَلَالُهَا
وَلَا لَيْلَ مَوْتٍ عَاثَ فِيهَا أَوْ اسْتَنْفَذَ

تَظْلِيلَيْنِ صَرَحًا لِلْأُولَى عَبْدُوا النَّهْيَ
وَرَبُّ شُمُوحٍ فِي جَبِينِ النَّهْيِ يُعْبَدُ



بَلَوْتُ شَجَاعَاتٍ أَنَا، وَعَجَمْتُهَا
بِمَا لِي مِنْ كِبَرٍ، وَمِنْ هِمَمٍ مُرَدِّ

ورحت بها أفري العقول، أحكها
على العاصف استوحيتُه البحر إن أزيد

واضربها في الهم والغم، انتحي
كأن قدر عزمي، كأن قبلي ميد

ولكن من القبر استمع لي نهرتها :
له، يا شجاعات، اسجدي، كلهم سجد



ويا نوفل الأبطال، جرّعك الأسى
أن الأرز في لبنان أوقف لا يصعد

وأغمضت عيناً خلفتهن سيباً
جبالاً وشطّانا وبحراً بنا استمجد

وعدتْك : لبنان يعود، وسيفه
على الكل، لا أبهى لشعب ولا أخلد

جمي عبقرى، لا الى الغير عينه
ولا القرش مولاه، وعدتْك لا يفقد.

فهرست الكتاب

٧	لي صخرة
١٠	على شاطئ الذات
١١	أجمل الأعراس
١٦	فخر الدين الثاني
٢٢	الهنيئة
٢٥	تكسرت الأسياح
٤٢	من وردتين اثنتين الشمس
٥٢	النهران
٥٩	اللون الآخر
٦٥	نهر الذهب

٦٨	كلامي على ربّ الكلام
٧٢	سألتيني
٨٥	غنيّت مكة
٨٨	نسَمَت
٩١	شامُ يا ذا السَّيف
٩٤	مرّ بي
٩٦	من شاعر
١٠٧	المُعَلِّم
١١٦	أغنية الحجر
١٢٣	ملكك لك العصر
١٣١	داوٍ شعري
١٣٩	عملاق مصر
١٥١	فليرو الزمان
١٦٠	أخْتُ الكتاب
١٦٦	رَصِفَتْ بالي
١٧٩	آتٍ معي زهرُ لبنان
١٨٨	وهل كنته الحرمون ؟
١٩٣	رجعت إليك كلك

الوثيقة التبادعية

« من منتج للاستهلاك
الى فنان حياته »

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٧٦

الطبعة الثانية ١٩٩١

رؤيا عن الله والكون نظام سياسي، فن حياة

١

سكان كوكب الأرض، عشية الألف الثالث بعد المسيح،
يمكننا القول انهم أصبحوا واقفين على حقيقتين :

الاولى : أن الانسان قفز قفزة كبيرة صوب معرفة ذاته.
لم يبق يُرضيه ان تضمن له عيشه وحسب ولا حتى رفاهه

وحسب. اصبح يتطلّب لا أقل من أن يبدع أو يشارك في
البَدْع، كأنما هو مزاملٌ لله.

الثانية : تعاسة، اكبر تعاسة، ان نقتلع الانسان من ايمانه
بأنه باقٍ الى الابد. وكيف نريده يتصور الارض، الكوكب
الذي ما كان قد كان، لولا نشاطه هو الانسان، سوى
صخرة بلا قيمة مرمية في الفضاء، هي تبقى الى مليارات
السنين وهو، الذي ثمرها وبَدَع مدنيّتها، يَكْفُ عن وجود
بعد ٧٠، ٨٠، ١٥٠ سنة ؟ مع انه ليس في المعقول ان لا
يكون الافضل وجد ليبقى أكثر. ان مجرد هذا الشعور،
عَصَرَ أخذوا يقدرّون الجودة في وجه الكثرة، أعاد الايمان
بأبدية الانسان. مع كل موكبها: الة قادر على كل
شيء، بادعُ اذن وله السرمدية، والى جنبه : خليفته التي
تُكْرَم أو تُذَلّ بقدر ما تروح تقرب ان تصير مثله أو
تُبْعِد. وفي اللغة اللبنانية ثلاث مفردات : « سرمدية »،
« أزل »، « أبد » — ليس لها في اللغات الأوروبية إلا مفردة
واحدة — بمستطاعها أن تسهم في توضيح علاقة الانسان
بالله. ان السرمدية، بجزئها الازل والابد، يملكها الله
وحده. الأزل، اعني الماضي الى ما لا حد، لا يملك
الانسان منه ولا ثانية. من هنا وجوب أن يتّضع، الى حد

الانمحاء، امام الله. أما الأبد، اعني المستقبل الى ما لاحد،
فيملكه الانسان هو والله معاً. من هنا، بالمقابل، وجوب ان
يشعر بكرامةٍ أجملِ الكرامات .

أن يضارب لا على أقل من أن يبدع ولا يتنازل عن
الايمان بمزاملة الله في انه باقٍ الى الابد، بهاتين الاثنتين
يتحدّد اليوم الانسان. ولربما يكون هكذا، في بعض
الكواكب، كل عاقلٍ راق سوف يلتقيه الانسان.

٢

هذا الوعي كان موجوداً في التاريخ، بشكل ومضات نور.
ومضات النور هذه هي التي جعلت الانسان، حتى فيما
كان يتخبط، يوجد انظمةً سياسية يحكم نفسه بموجبها،
ويمضي خطُ تطورها مع خط وعيه لله والكون.

فلسفة حُكم، أعني رؤيا عن كيف سياسةُ الناس،
موضوعٌ شغل كل الادمغة الكبيرة، على تنوّع نشاطها :
من تور وفيثاغورس الى لينين وتشرشل، وبينهم المثلث
الاغريقي : سقراط وافلاطون وارسطو، واصحاب النور
الكبير : دانتي وشكسبير وغوته وفاليري، والعقلان غيرُ
العاديين : اوغوسطينوس والاكويني، لكي لا نتكلم على

الذين وقفوا انفسهم على السياسة كمكيا فيل وهوبس. كل من هؤلاء اتخذ لنفسه مُنطلقاً بعينه. وإنما يخيل اليّ ان المنطلق ذا الوزن ينبغي ان يكون السؤال الخالد : « انا، الانسان، باقٍ أم لا، اكثر مما هي باقية ترابٌ وشجرة ونجمة ؟ » سؤال الاسئلة هذا، عن البقاء، يستتبع فكرة وجود من هو رب البقاء : الله. ان العباقرة الذين رصفوا مداميك المدنية، على مدى التاريخ، همّهم اكيداً هذا الموضوع اكثر مما همّهم ما اذا كانوا سينامون على الطوى أو في بيت سقّفه يدلف.

كيف رأى الانسان هذا الخط الآتي من الله صوب الانسان مكماً طريقه صوب الانسان - الموهبة، هكذا تفتّق له أن يعمل حكوماته.

تعال نمشي مع هذا الخط .

الله، او الاله الواحد، اول ما رآه الانسان رآه قوة وقادراً على كل شيء. اذن هذا الانسان ينبغي أن يكون له ملك يحكمه لا يستهان بما له من قوة ولا بما له من قدرة على كل شيء، ولو انه لا يتسمى احياناً ملكاً. وهكذا بدأنا كلنا ملكيين. اعني مشدودين الى حكم فردي أو شبه فردي، المهم انه دوماً حازم.

ونمضي مع الخط : وعى الانسان انه الى جنب الله يوجد الكون، خليقته المتدرجة من حبة تراب الى مجموعة نجوم. بوحى هذه المعرفة رأى، الى جنب الملك : الوطن. وهكذا صرنا وطنيين. وكنا في بعض الاحيان نلحد او نتناسى الله ولا نعود نأبه إلا للكون، ونعمل حكومات بعيدة عن القيم التي تستوحي القيم الالهية. ونظن اننا اذا هدمنا المَلِك او الحكم الحازم، نكون نخدمنا الوطن. لكننا لا نلبث ان نعود ندرك ان الذي تهمة الوطنية لزامٌ عليه أن يستمر تهمة الملكية، كما أن الاهتمام للكون لزامٌ أن يظل مستلهماً الاهتمام لله.

ويواصل الخطان مُضِيَّهما : يصبح الانسان عارفاً بأن الكون - الخليقة، افضلُ جزء من اجزائه، ذِروتهُ، تاجه، هو الانسان. بالموازاة، يصبح الانسان عارفاً بأن افضل شيء في الوطن هو الأمة. المتر المربع من ارض الوطن مهم، لكن اهم منه المواطنُ الواقف عليه. ويولد حكم الامة. وهكذا نُصبح أُمويين أو أنتر أُمويين. وهنا، في مرحلة اكتشافنا ان الانسان هو تاج الخليقة، تتعقد متطلبائنا وتتعدّد الانظمة السياسية التي تطمّح الى ارضائنا، ولكنها تظل في روحها واحداً.

والخطان اللذان سيمضيان سيظل الواحد منهما يؤثر في الآخر ويلهمه. الآن، بات ينبغي لنا أن نبدأ بتبيين أنه، بعد الانسان، يوجد الذي ليس أيما انسان، يوجد الانسانُ البادع، ذاك الذي خلقه الله ليؤازر الله في استكمال بدع الكون. وهكذا يكون الخط السياسي ماضياً لا فقط صوب الامة التي تُنبت هنا وهناك افراداً بادعين وانما اكثر : صوب الامة المتبادعة. لفظنا كلمة جديدة اشتققناها خاصة لنتعبّر عن مفهوم جديد يقول انه ليس بمستطاع الفرد ان يبدع، بحق وبسهولة، إلا اذا راح، في كثير أو قليل، يبدع معه سائرُ الناس ويُبدع حلمُهم معهم وأدواتهم التي هي بدورها بدّع، إلا اذا راحوا هو وهم يتبادعون. وان يتبادع الفرد معناها ان يبدع نفسه والعمل الذي يبدعه والاشخاص الذين هم سواه وأحلامهم وأدواتهم، وهؤلاء جميعاً يعودون بدورهم يزيّدونه قُدرةً على التبادع. وهكذا صار ينبغي ان نصبح تبادعيين.

الانسان وهو بدائي يتطلع الى أن « يَقتني ». بعدها يعلو على نفسه فيتطلع الى ان « يكون ». بعدها يعلو اكثر فيتطلع الى ان « يبدع ». اليوم اصبح ينبغي له أن يعلو على نفسه اكثر واكثر ويتطلع الى ان « يتبادع »، اعجوبة لا

يقدّر على اجتراحها إلا إذا عمل هو والناس وأحلامهم
البِدْع وأدواتهم البِدْع معاً.

٣

التبادعية، في الاجتماع والاقتصاد، نظامٌ يفرض سيادة
اثنتين : الحرّية والجُودة، ولا بحال يُحدّ من الحرّية، ولا
بحال تُفضّل الكثرة على الجُودة.

الحرّية التي بلا حد تفرض على نفسها ان تكون
مسؤولةً تجاه نفسها. بعد هذا الفرض الذي تقوم به
اختياراً، (اعني في نطاق الحرّية ايضاً)، تعود لا تقبل بأن
يُشرط عليها شرط. هذا معنى أنها بلا حدّ. ان الوجود
العظيم، الذي منه ينبع كل شيء، هو حرّية. بنتيجة وعي
هذه الحقيقة، التي كانت مبدئية ثم برهن عليها التاريخ،
ندرك ان افضل تفتح للانسان يتم في الحرّية. لكي تتبادع
يستحيل ان يلزمك شيء فوق الحرّية. وهكذا يستحيل ان
يوجد نظام اجتماعي واقتصادي افضل وادّر على اصحابه
والذ تطبيقاً من نظام حر الى ما لا حد. من هنا ان الوسائل
التي ابتكرها الانسان، في مستهل التاريخ، وخدمته لكي
يمارس حرّيته بسهولة لا يجوز له أن يرفضها بشيء من

التهوّر أو من الخفّة. مثّل على هذه الوسائل : المال. إن
 تُصنِّمَ بعضنا للمال، ذاك الذي جعل المال أحياناً يثمّر
 نفسه لصالح نفسه، يجعل الإنسان زُلْمةً له، هذا لا يجوز
 ان يجعلنا نستهيّن بالمال وبأنه أمرن وسيلة لتسجيل حصول
 الجهد الخيّر أو لنقل الجهد الخيّر من مكان الى مكان.
 استبدال المال بأيّما شيء سواه ردة الى البدائية. المال
 كالأبجدية : الشعب الذي عملهما كليهما عملهما لا يزداد
 عليهما شيء. تُقدر ان تخربط في أصول استعمالهما، لا
 تقدر ان تستغني عنهما. ليس من مال أو أبجدية عند
 الجماد أو النبات أو الحيوان. والإنسان عَمِلَ المال
 والأبجدية ؟ المال والأبجدية يقيان للإنسان. واضحٌ من
 المالك ومن المملوك. تتغيّر الادوار، يتخربط كل شيء.
 والحكاية التي يعرفها الصغار لكم يروح غالباً يتناساها
 الكبار : بدويّ من الصحراء عثر على قطعة من معدن،
 قال : « ويش ريدها » ورماها. وجدها ابنُ مدينة، عمل
 منها مفتاحاً ثمّنه ليرة. وجدها سويسراني، عمل منها ساعة
 ثمنها ٢٠٠ ليرة. وجدها عالم، استخرج منها طاقةً ثمنها
 ملايين. قطعة المعدن الصغيرة تلك لا قيمة لها بذاتها،
 تصبح لها قيمة وتأخذ تكبر هذه القيمة بنسبة ما يُضاف
 إليها انسان. ونستخلص : المال، المال الذي يقي عارفاً

حدّه، يُعطي التعامل حُرّية هائلة. لهذه، المال خالد. ومثله
الرأسمال وحقّ التملّك. ألا فليجتهد الانسان، فرداً أو
جماعة، ليجعل دخله بقدر ما يريد، التبادعية، التي لا تقدر
ان تكون له إلا اذا كانت لغيره، تُدفعه من هذا المال،
لصالح الجماعة، بقدر ما تتطلب اللعبة التبادعية. وهذه
اللعبة، بقدر ما تؤمن خير الجماعة، تكون مؤمنة خير
الفرد. حرية في التعامل لا حدّ لها، ما مثلها سند لتفجير
الخير. ومن الخير تتغذى الموازنة لتكون قوية، أعني لتقدر
على تنفيذ المُخطّط الطموح. والموازنة اثنان : أخذ من
المكان الواجب أن يؤخذ منه، وعطاءً للمكان الواجب أن
يعطى. والتبادعية، التي هي حرية مسؤولية، نجعل المنتج
تلكه زيادةً مساهمته سنة بعد سنة في تنمية الموازنة، اعني
في تنمية تبادل أمته الذي ينبغي ان يوصل الى تبادل أمم
العالم، أعني البشرية التي هي عائلته الكبيرة.

والجودة هي التي ينبغي أن تشمل كل شيء :
الشخص — انتَ والغير — العمل، التعامل، الأهداف وحتى
الاحلام. من هنا ان التبادعية جودةً عمومية، للانسان
وللشيء معاً. هي اذن رَفَضُ مجتمع الانتاج للاستهلاك،
رفضُ السرعة التي تُلَهْث ولا تُوصل إلا الى المكان الذي

بيان في النهاية أنه متأخر عن المنطلق، رَفُضُ العمل
الكثروي الذي لا يَنْقَعُ غَلَّة. على النقيض من كل هذه
يكون الانتاج الجودوي، ذاك الذي يجودن نفسه
ويجودنك أنت صاحبه. يحوّلك من مُنتج للاستهلاك الى
فنان حياتك. فرق، فرق كبير، بين أن تضيف الى نفسك
وان تتجودن. التبادعية ليست حركةً ازدياد، انها بالاحرى،
حركة كَسْر طَوْق، نفاذ الى درجة في الوجود أعلى. حتى
المعرفة، المعرفة العظمى، تصبح، على ضوء التبادعية،
جَوادات قلب ايضاً : نخوة، وعطاء، ومحبة للكل،
وصدقاً، وقدرة على تذوق الجمال، وشجاعة كلمة
خلاقة، ولفتة تلف الكون وما بعد الكون، ومضاربة على
لُعبٍ شبيهة شيئاً بلُعبِ الله.

فهرست (المجلد)

كما الأعمدة	٥
الوثيقة التبادعية	٢٠١

